

كتابنا الجديد

الجزء الأول



الجزء الأول



الكتاب الأول
من سلسلة
مكتبة الإسكندرية



General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
Al-Markaz Al-Kutubiy Al-Ahliyy

الغيرة إقَاتِلَة

14597

أَجَاثَا كَرِيسْتِي

الغيرة القاتلة

الجزء الأول

الطبعة العامة لكتبة الاستغنية
رقم النسخة : 823
رقم التسجيل :

المكتبة الثقافية
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الغيرة القاتلة

الفصل الاول

الام

- ١ -

وقفت آن برنتيس على رصيف القطار ، في محطة فيكتوريا ، واخذت
قلوح بيديها ..

وسار القطار وهو يزجر ويطلق صفارات ناقبة متتابة !

ثم ابتعد القطار واختفى معه وجهه سارة الصغيرة ، واستدارت
آن يبطء فوق الرصيف نحو باب الخروج .. والام العميق يأخذ
بجوامع قلبها .

سارة الصغيرة الغالية .. كم سلكتناق اليها ..

صحيح . إنها ان قتيب أكثر من ثلاثة أسابيع ، ولكن كيف
تقضي الأم المحبة هذه المدة (الطويلة) بدون سارة ؟ ولم سيبدو المنزل
كثيباً خالياً بدون ضحكات سارة. البالدورية ؟

ثلاثة أسابيع ولن يكون في المنزل إلا آن برنتيس وخادمتها
المخلصة أدبث ..

امرانان في خريف العمر .. امرانان عبرنا رحلة الحياة حتى أصبح
أي شيء يرضيها ، أما سارة فلإنها مقعمة بالحياة ، مليئة بالحوية ، والله
من رأها في كل شيء ، وإن كانت لا تمدو أن تكون طفلة جميلة سوداء
الشمر ا

لا .. لا اما أبشع هذا التفكير .. إنه تفكير خليق بأن يفضب
سارة التي لا يفضبها شيء - - وكل الفتيات اللاتي في سنها - مثل التسبيح
بأنها لا تستشير أسرتهما في شيء ..

إنها تقول في الحال « كلام فارغ يا ماما ، » بعكس الحال في الأمور
(التافهة) الأخرى مثل غسل الثياب وكتيها ، ومثل المكالمات التليفونية
التي لا تنتهي ..

« من فضلك يا ماما اطلبي صديقتي كارول بالتليفون واعتذري لها
عن تأخري عليها ، .. أوه « آسفة يا ماما كنت أوي أن أرتب حجرتي
ولكني مستعجلة جداً ، ا

ثم قالت آن لنفسها : « عندما كنت شابة صغيرة في سن سارة . »

وابتسمت أساريرها وعادت بها الذكريات إلى الماضي . لقد نشأت
في منزل محافظ ، وكانت أمها في الأربعين عندما التحببها ، وكان والدها
يكبر أمها بخمسة عشر عاماً على الأقل ..

كان الأب - حسب التقاليد القديمة - هو رب البيت ، ولم يكن
للمواطن أي مجال في مثل هذا الجو المحافظ ، وكانت أمها تكتفي بأن
تقول : ها هي ابنتي الصغيرة ..

وكان والدها . الذي لا يبتسم إلا نادراً .. يسميها « لمة » بابا
الصغيرة .

وعندما شبت آن من الطوق كان عليها أن ترتب المنزل وأن تساعد
في المطبخ ، وفي التسويق ، وفي الرد على الخطابات وفي كل أمور العائلة ،
ولم تكن آن تجرد في ذلك أي غرابة .

إن (البنات) يولدن لخدمة ذوجهن وليس العكس !
وهنا سألت آن نفسها : أي الحالين أفضل ؟ الماضي أم الحاضر ؟
ومن المجيب إنها لم تستطع الاجابة بسهولة على هذا السؤال .



ووقفت في سيرها أمام فارينة وهي تبتسم في حيرة بحثاً عن إجابة
معتولة عن خواطرها ..

وجذب انتباهها كتاب يبدو عليه أنه ممتع (لكي تقرأ هذا المساء

وهي مجلس أمام المدفأة) ..

وفي الحال جاءها الجواب .. لا هم - هذا هو الجواب .. لا هم حقاً من الذي يخدم من : الابنة أم الأسرة .. إن الأمر سيان ، هذه كلمتها أمور ظاهرية لا تؤثر إطلاقاً على الروابط الأسرية التي تربط بين الأطفال وبين ذويهم .

إنها تعرف إن بينها وبين ابنتها سارة حب غامر عميق .

وعند ذلك اشترت آن الكتاب الذي أعجبها وهي ترجو أن تجد به من المتعة ما يعرضها عن افتقادها سارة هذا المساء ..

ثم سارت وهي تحاول أن تتغلب على خطرات قلبها : « سوف أفتقد سارة سارة .. طيباً ، سوف أفتقدتها جداً ، ولكنني سوف أنعم بالهدوء والسلام لمدة ثلاثة أسابيع » ..

وفضلاً عن ذلك ، فإن أديث سوف تتمتع بشيء من الراحة أيضاً ، وسوف تتمكن من القيام بعملها وهي آمنة من تدخل سارة المستمر في كل شيء ، ومن المواعيد الغريبة التي تحب ان تتناول فيها الطعام ، ومن أصدقاء سارة العميدين الذين يتقاطرون على المنزل في أي لحظة طالبين الحلوى والشاي والطعام !

لن تقول سارة : ماما هل في الامكان التيكبير في موعد الغذاء ؟
إنني سوف أذهب إل السيتماع الشة ا

أو : الو .. ماما ؟ لا تنتظريني على العشاء الليلة ..

لا شيء من هذا كله جداً ، لن تدق أديث المسكينة كفاً بكف

ولن ترفع يديها إلى السماء في استسلام ؟

ولا يعني ذلك أن أديث فكره سارة .. إن أديث موجودة في المنزل منذ عشرين عاماً ، قبل عشرين عاماً ، قبل مولد سارة ، وهي التي تلقتها على يديها من عالم الغيب ..

إنها لا تكرهها ، إنها تزجر وتصيح وتصرخ ، ولكنها في الواقع تحب سارة كثيراً .. إنها أمها الثانية !

ومن الذي يستطيع ان يكره سارة ؟

إنها فقط فترة راحة وسلام ، وهدوء أيضاً ، هدوء بارد .

وشعرت آن بخوف غريب يحتاجها ويحمل اطرافها ترتجف . ورغم أنها وجدت نفسها بحالة هدوء بارد ، لا شيء إلا الهدوء البارد الذي يمتد عبر ثلوج الوحدة والشيخوخة إلى الموت .. لا شيء يمكن التطلع اليه .. لا أمل يمكن التفكير فيه .

صاحت آن وكأنها ترد على خواطرها : « ولكن ماذا اريد ؟

لقد تمتعت بكل شيء في حياتي .. تمتعت بالحب والسعادة مع باتريك المحبينا طفلتنا الغالية سارة ، لقد حصلت على كل ما اريده من الحياة .. والآن .. انقضى كل هذا .. الآن سوف تتابع سارة الحياة حيث توقفت أنا .. سوف تتزوج وتنجب اطفالاً ، وسوف أصبح جدة !

وابتسمت آن .. من المؤكد إنها سوف تكون سعيدة عندما تصير

جدة .. سوف يكون عندها حفنة من الأحقاد الرائمي الجمال .

اطفال سارة .. سوف يكونون اشقياء متعبين مشاكسين ، ولكن
سوف يكون لهم شمر سارة الأسود الجميل ، وسوف تقرأ وتحكي لهم
القصص والأساطير ا

ما أجل هذه الصورة .. ولكن الخوف البارد الغريب ما زال
يقبض على جماع قلبها .. لو أن باتريك لم يميت ا

لقد مات منذ زمن بعيد جداً ، عندما كانت سارة لا تزال في
الثالثة من عمرها.. ولكنها لم تلتس قط ذكرى ذلك الزوج الشاب
الجميل .. الذي ملأ حيويتها حباً وحيوية .. ثم اختفى كما يختفي
الشباب ..

لماذا تذكره بقوة الآن ؟

لماذا تشعر بالحزن يتجدد على باتريك ، وكأنما قد فقدته بالأمس
فقط ؟

نعم لو ان باتريك كان على قيد الحياة لكان في امكان سارة
أن تسافر كما يحلو لها ، وأن تتزوج .. وفي نفس الوقت كانت آت
تبقى مع باتريك لكي يواجهها ممأ خريف العمر . نعم ما كانت آن
لتكون وحيدة هكذا ..

وصلت آن إلى ميدان المحطة الصاخب المزدهم ، وقالت لنفسها :
« ما أشد ما تشبه هذه الأرتويدسات الضخمة الحمراء وحوشاً
خرافية تنتظر الطعام .. وما أكثر ازدحام الميدان بالناس .. أناس
يسرعون ، وأناس يروحون ، وهم يتكلمون ويضعفون ويتواعدون

على اللقاء ،

ومرة أخرى عاود أن ذلك الشعور الخفيف البارد ، الشعور بالوحدة
الطالقة ..

قالت لنفسها وهي تحاول أن تقاوم هذه الخواطر الغادرة :

« لقد حان الوقت الذي يجب أن تستقل فيه سارة بنفسها ، نعم
يجب أن أكف عن تعلقي الزائد بها هكذا . ويجب أيضاً أن أقاوم
تعلقها الزائد بي .. من الظلم أن تشجع الصغار على التعلق بنا إلى هذا
الحد . من الظلم ، بل من الشر أيضاً .. يجب ان اشجع سارة
على ان تخطط حياتها بنفسها .. وعلى أن تختار اصدقاءها
بنفسها . »

وهنا ابتسمت ان ، لأن سارة في الحقيقة لم تكن قط في حاجة
إلى تشجيع في أي شيء .

إن سارة تختار اصدقاءها بنفسها دائماً ، وتفعل ما يحلو لها في أي
وقت دون الرجوع إلى أمها في أي شيء . صحيح انها تعيد
أمها ، ولكن من الصحيح أيضاً إنها تأخذ رأيها الخاص في كل شؤون
حياتها .

إن آن بلغت الواحدة والأربعين من عمرها ، ولعل هذا السن يبدو
لسارة وكأنه أرقب العمر ، في حين أنها كانت لا تزال مترددة في ان
تطلق على نفسها (امرأة في منتصف العمر) .

لم تكن تقاوم السنين . لم تكن تستعين بالمساحيق ، ولا الشباب

الأنيقة الزاهية الألوان ، ولكنها كانت تشعر بينها وبين نفسها انها ليست امرأة في منتصف العمر .

وتنهدت ان : ما اغباني .. ما هذه الوسوس الحقاء ؟ لعل السبب هو رؤيتي سارة تبتمعد عني ا

ماذا يقول الفرنسيون عن الفراق ؟

الفراق هو موت مؤقت ..

نعم .. هذا حقيقي .. ان سارة الآن ؟ إنها ميتة بالنسبة لي الآن .. وانا ميتة بالنسبة لسارة ..

الفراق شيء غريب .. التباعد بالأجسام ، ما هي سارة الآن نجيا حياة خاصة بها ، وأن ايضا نجيا حياة خاصة بها .

وداخلها عند ذلك مرور صبياني مباغت : إنها حرة تماما الآن ، تستطيع الآن ان تستيقظ متأخرة أو مبكرة كما يحلو لها .. تستطيع ان تخطط أيامها حسب هواها .. تستطيع ان تتناول افطارها في الفراش ، وتستطيع ايضا ان تتناول عشاءها مبكرة ، كي تذهب إلى المسرح او إلى السينما !

او تستطيع ان تأخذ القطار - اي قطار - وتذهب إلى الريف كي تتمشى بين الحقول الخضراء والنسبات العذراء ، وتستنشق هواء الريف النقي . و ترى السماء الزرقاء ، كما تبدو من بين غصون الأشجار ..

ولا يعني ذلك أنها ما كانت لتستطيع ان تحظى بكل هذه المتع في

وجود سارة ..

إن سارة لا تتدخل في حياتها بأي شيء ، ولكن الذي كان يحدث
أنها كانت تجد متعة اعظم في مراقبة سارة وهي تخرج وتعود .

ما أبدع ان تكون المرأة أما . إنه شيء مثل ان ترى نفسها تولد
من جديد ، وتنمو من جديد ، وتستكشف الدنيا كلها من جديد وهي
بنجاة من آلام الشباب وهذاب المراهقة .

إن التجربة تعلمها إن ما يبدو خطيراً قد لا تكون له أهمية ،
وتستطيع ان تفكر فيه في هدوء وهي تبتمس .

قد تصبح سارة ؛ ولكن يا ماما الموضوع خطير جداً ، إنه مسألة
حياة او موت .. إن صديقتي ناديا تشعر ان مستقبلها كله في خطر ،
ارجوك ألا تبتسمي يا ماما ا

ولكنها تبتمس ، لأنها تعلم ان مستقبل اي فتاة لا يكون قط في
خطر ، وان الحياة من المرونة والرحابة بحيث تسمح بالآلاف الحلول لكل
المشاكل ..

لقد عملت آن فترة من شبابها في سيارة اصعاف ابان الحرب ،
وقملت من مشاهداتها مدى قفامة كل شيء ..

تعلمت إن المشاعر الصغيرة مثل الحسد والحقد والغيرة والسرور
والخيلاء كل ذلك لا يساوي شيئاً عندما يشعر الانسان في الحرب انه
معرض للموت في أي لحظة ا

وتعلمت أيضاً أنه من الصعب كثيراً أن يصنف المرء الناس إلى

أخيار أو أشرار ، كما كانت ترى الناس في شبابها ..
ما أكثر ما رأت شخصاً يخاطر بحياته في شجاعة رائحة لينقذ حياة
شخص من حادث تصادم ، ثم ترى هكذا الشخص الشجاع نفسه
يرتكب عملاً وضيعاً مثل أن يسرق لحظة الشخص الذي أنقذه من
الموت .

الناس لا يمشون في قوالب جامدة



وفي هذه اللحظة وجدت أن نفسها أمام سيارة تاكسي . وسألت
نفسها بسرعة :

- أين أذهب الآن ؟

لقد كان توديعها لسارة هو كل عملها هذا الصباح ، وفي المساء كانت
على موعد للعشاء مع جيمس جرانت . جيمس العزيز المعطوف .
قال لها بالأمس وهو يؤكد دعوته للعشاء :

- سوف تشعرون بفراغ بعد فراق سارة ، تمسالي ودعينا نقضي
أمسية بديمة أ .

كان ذلك كرمًا من جيمس الذي كانت سارة تسخر دائماً من احترام
أمها له وتقول :

- خادمك المطيع يا ماما ؟

إن جيمس حقا شخصا رقيق وديع بالرغم من أن آن كانت تشرد كثيراً عندما يحكي لها حكاية من حكاياته العديدة التي تتشعب بدون نهاية ..

وكانت تلوم نفسها دائماً . إن صداقة خمسة وعشرين عاماً تفرض عليها - على الأقل - أن تصفي لحكايات جيمس الساذجة التي يجد لذة كبيرة وهو يحكيها .

نظرت آن إلى ساعتها ، وفكرت أن تذهب إلى (مخازن الجيش والأسطول) ، كي تشتري بعض أدوات المطبخ التي طلبتها أدبث ، وفي الحال استقلت التاكسي ووصلت إلى المخازن .

سارت بين صفوف الأدوات المعدنية اللامعة وأطباق الصيني البيضاء وهي تتفحصها بذهن شارد ، وتسال عن الأسعار (التي ارتفعت ارتفاعاً غنياً) ، وكانت تشمر طول الوقت بذلك الرعب البارد يسيطر على حواسها .

وأخيراً .. لم تستطع مقاومة هذا الشعور ، فقصت إلى أقرب تليفون ..

- هل من الممكن أن أكلم السيدة لورا ويتستابل من فضلك ؟

- من المتحدث ؟

- مسز برنتيس ا

- لحظة واحدة يا مسز برنتيس ؟

وما هي إلا لحظة حتى جاءها صوت صديقها العميق :

- آن ؟

- أوه . لورا .. أعرف إنني لا يجب أن أتصل بك في هذا الوقت . ولكنني ودعت سارة لتوي وكنت أتساءل ما إذا كان عندك بعض الوقت .

قاطعتها لورا :

- فلنلتناول الغذاء معا .. ما رأيك ؟

- أنت ملاك !

- سوف انتظرك إذا ، الواحدة والربع تماما

- ٢ -

كانت الساعة الواحدة وأربعة عشر دقيقة عندما خرجت آن من سيارة التاكسي ، ودفعت الأجر للسائق ..

ثم دقت جرس الباب ..

في الحال ، فتحت لها الباب الوسيطة هاركنيس وقالت لها باسمه :

- تفضلي بالصعود إلى الدور الأعلى يا مسز برنتيس وسوف تلحق

بك السيدة لورا بعد دقائق قليلة ..

صعدت آن السلم حيث مائدة الطعام معدة في انتظارها .

كانت الحجرة قبدها وكأنها حجرة رجل ، وليست حجرة امرأة ..
مقاعد ضخمة وثيرة وكنيات هائلة من الكتب ، وستائر ثينة ذات
ألوان زاهية ..

ولم تنتظر آن طويلاً .. وسرعان ما جاءها صوت لورا العميق
يسبقها على السلم ، ودخلت لورا الحجرة حيث تعانقت المرآتان في
ود صاف .

كانت السيدة لورا امرأة في الرابعة والستين ، وكان لها مظهر
الانسانة التي تعرف أن لها شخصية هامة في المجتمع . كان كل ما فيها
أكبر من حجمه الطبيعي في مثيلاتها من النساء ، صوتها وصدرها وشعرها
الفضي وأنفها الذي يشبه منقار اللسر ..
قالت لورا :

- ما أسعدني برؤيتك يا صغيري .. أنت قبدين أكثر جمالاً يوماً
بعد يوم .. وأرى أنك أحضرت معك باقة من زهر النرجس ، هذا لطف
منك ، كما أن النرجس الذابل هو الزهر الذي يشبهك ؟

قالت آن :

- النرجس الذابل ..

- بل حلاوة الخريف التي تختفي خاف أوراق الشجر .

ضحكت آن وقالت :

- ماذا حدث لك يا لورا اليوم ؟ أنت مجامة جداً على عكس
عادتك .

- إنني أحاول أن أكون ظريفة ، ولو أن ذلك يكلفني جهداً نفسياً

كثيراً ، ولكن دعينا نأكل فوراً ، بأسيت .. أين بأسيت هذه ؟ ما رأيك في هذه الأصناف من الطعام يا عزيزتي ؟

- هذا كثير جداً يا لورا حقاً ، كنت أتوقع هؤلاء بسيطاً !

قالت لورا :

- كلام فارغ .. اجلسي ، إذا سافرت سارة إلى سويسرا ؟ كم ستبقى هناك ؟

- ثلاثة أسابيع ..

- هديع جداً ؟

وانتظرت لورا حتى انتهت الخادمة بأسيت من وضع باقي الأصناف على المائدة ، ثم أخذت ترشف قدامها من اللبن ، قالت :

- من المؤكد أنك سوف تشعرين بوحشة وفراغ بعد سفر سارة ، ولكن لا يمكن أن يكون هذا هو كل ما يزعجك ، هيا يا آن اخبريني بكل مشاكلك ، ليس أمامنا وقت كثير ، أنا أعرف أنك لمحبيتي ، ولكنني أيضاً أعرف أنه عندما تطلبني صديقة وترجو رؤيتي فوراً فإنها تبحث عن حكتني لا عن جاذبيتني .

قالت آن في ضجيل :

- انا اسفة حقاً يا لورا .

- كلام فارغ يا عزيزتي .. ذلك لا يفضيني البتة ، بل إنني أجده لوعا من التقدير .

قالت آن في سرعة :

- أوه . لورا .. اعرف إنني حقا .. حقا قانما .. ولكنني اجد نفسي فريسة لرعب مفاجيء .. عندما كنت في ميدان محطة فيكتوريا ، وسط كل هذه الأوتوبيسات ، شعرت بأني وحيدة ا

قالت لورا في تفكير :

- نعم .. إني افهم ذلك ا

استمرت آن قائلة :

- لم يكن السر فقط هو سفر سارة ، كان شيئا اخطر من ذلك بكثير ..

أومات لورا برأسها ولكنها لم تتكلم ا

قالت آن :

- أعني ان الشعور بالوحدة لا يجب ان يكون شيئا جديدا بالنسبة لي ، فأنا دائما وحيدة ؟

- إذا فقد عرفت ذلك أخيراً ، نعم إن الوحدة منا تكتشف ذلك عاجلا أم اجلا ، والغريب أنها دائما صدمة .. ما هو عمرك على فكرة يا آن ؟ واحد واربعون عاما ؟ إنه سن مناسب جدا لذلك الاكتشاف ، لأنه إذا تأخر بك العمر في الاكتشاف فإنك تتعرضين للانهيار .. وإذا تقدم بك العمر فإنك تحتاجين لشجاعة نفسية هائلة للاعتراف به .

قالت آن في فضول :

- هل شعرت قط بأنك وحيدة يا لورا ؟

تهدت لورا وقالت :

- طبعاً .. لقد جاءني ذلك الشعور أول مرة وأنا في السادسة والعشرين ، وأنا واحدة من أفراد عائلة كبيرة يفرغ عليها الحب والوثام لقد أدهشني ذلك الشعور وملأني بالرعب ، ولكني سلمت به ، لا يجب أن ننكر الحقيقة أبداً .. يجب أن نسلّم بالحقيقة التي تقول بأنه ليس للإنسان في هذه الدنيا من رفيق يصاحبه من المهد إلى اللحد إلا شخص واحد .. نفسه ! ويجب على الإنسان أن يوطد علاقته بهذا الرفيق .. أن يتعلم كيف يصادق نفسه .. هذا هو الواجب ، وهو ليس سهلاً دائماً ..

- لقد شعرت بأن الحياة تبدو فجأة فارغة من المعنى ومن الهدف ، إنني أعترف لك بكل شيء يا لورا . شعرت بأن الحياة أصبحت عبارة عن سنوات تمتد دون أن يلاها شيء هام ، لا حزن ولا فرح ولا جديد ، أوه . أعتقد اني امرأة حمقاء ، لا أكثر ولا أقل ؟

قاطعتها لورا :

- لا .. لا يا عزيزتي .. حافظي على صوابك .. تذكرني مساضيك الراحل .. لقد أدبت عملاً عظيماً أياك الحرب .. لقد نجحت في تربية سارة وعلمتها كيف تكون فتاة رضية الخلق ، وكيف تحب الحياة بالطريقة الهادئة التي تحبين بها الحياة .. يجب أن يكون ذلك كافياً جداً عزاء لك .

- يا عزيزتي لورا ، أنت حكيمة وهطوفة ، ولكن أخشى إنني أفرط في حيي لسارة أكثر مما ينبغي ا
- كلام فارغ ..

- إنني أخشى دائماً أن أصبح واحدة من الأمهات اللاتي يحببن بناتهن إلى درجة السيطرة والديكتاتورية التي تحول حياة بناتهن إلى جحيم ؟
قالت لورا في هدوء :

- بل هناك كثير من الأمهات يفكرن مثلك إلى درجة أنهن يتمردن على ألا يحببن بناتهن !
قالت آن في استنكار :

- ولكن السيطرة شيء فطبيع .

- طبعاً .. لقد رأيت هذه الحالة كثيراً .. رأيت أمهات (يمتكرون) بناتهن ، وآباء (يمتكرون) أبناءهم ويفرضون عليهم حياتهم الخاصة ، ويفرضون (الماضي) على (المستقبل) .. إنهم يحاولون أن يعيشوا حياة أبناءهم وهذا شيء ضد الطبيعة ..

لقد كان عندي ، في وقت من الأوقات عش طيور في حجري ، وعندما فقس البيض ، ونما ريش الطيور الصغيرة طارت ما عدا واحداً . أراد ذلك الطائر الصغير أن يبقى في العش ، وأن يعتمد في طعامه على أمه ، ورفض أن يتعلم الطيران . وقد ازهدت حالته أمه كثيراً . كانت تطير أمامه وتعرف يمنحها لكي تجمله يتعلم منها ، ولكن بدون فائدة ..

أصر ذلك الصغير اصراراً غريباً على البقاء في مهده ، وأخيراً امتنعت الأم عن اطعامه ، كانت تحضر الطعام فوق منقارها ، ولكنها تلف خارج العش لكي يخرج .

وهناك أشخاص مثل هذا الطائر .. أطفال لا يريدون أن يشبوا عن الطوق . ولا يريدون أن يواجهوا متاعب الحياة ومشاكل النضوج ،

والمعيب ليس في قذشتهم ، وإنما في أنفسهم ؟

وتوقفت لورا عن الكلام لحظة ، ثم عادت تقول :

- يمانب الأمهات اللاتي يجبن السيطرة على الأطفال ، هناك أيضاً الأطفال الذين يحبون أن تسيطر عليهم أمهاتهم .. هذا نوع من تأخر النضوج العاطفي ؟ أم أنه نقص في القدرة على النضوج ؟ النفس البشرية ما زالت غابة مليئة بالظلام والأناز .

قالت آن التي لم تهتم بهذه العموميات :

- هل تمتددين إلي أم تحب السيطرة على ابنتها ؟

- لقد كان رأيي دائماً أنك وسارة تتمتعان بملاقة بمنازه ، وإن

كلا منكما تحب الأخرى حباً صادقاً ، وإن كانت سارة في الحقيقة اصغر من سنها .

صاحت ان :

- اصغر من سنها ؟ إنني أعتقد دائماً انها اكبر من سنها .

قالت لورا :

- لا .. لا .. إنني أشعر دائماً انها اصغر من عمرها !

اعترضت آن :

- ولكنها ذات شخصية مستقلة تماماً .. ولها رأيها الخاص في

كل شيء .

- هذا معناه أن لها رأي (العصر) الذي تعيش فيه ، ولكن سوف

ينقضي زمن طويل قبل أن يكون لها رأيها الخاص في أي شيء ، يمانب

ذلك ، فإن الجيل الجديد من الفتيات يبدو ذا شخصية مستقلة ، والسبب

في ذلك انهن يفتقدن الثقة في انفسهن حقا ..

إننا نعيش في زمن قلق ، ولا شيء يبدو ثابتا ، وذلك يؤثر على الجيل الجديد اكثر مما يؤثر علينا ، وذلك أيضا هو أساس كل المصائب والمتاعب والجرائم : الحاجة إلى الاطمئنان .. المنازل المتصدعة .. الحاجة إلى القيم الاخلاقية .. إن النبات الصغير يحتاج إلى سند قوي لكي يصبح شجرة باسقة .

ثم ابتسمت لورا فجاء وقالت :

- ما أنذا أتحول إلى واعظة مثل عبوز مخرفة ، هل تعلمين لماذا أشرب اللبن في كل وجباتي ؟

- لأنه مفيد صحيا !

- كلام فارغ .. بل لاني أحبه .. يجب أن يفعل الانسان ما يحبه فقط .. اخبريني الان ، هل ما يزال ذلك الرجل اللطيف جرانت يطاردك ؟

احمر وجهه أن وضعت ، ثم قالت :

- نحن اصدقاء قدامى !

- لقد عرض عليك الزواج اكثر من مرة ، اليس كذلك ؟

- نعم ، ولكن هذا كلام فارغ في الحقيقة ..

ثم ترددت لحظة وسألت صديقتها في استعجاب :

- لورا .. هل تفتقدين انه .. لاني يحسن أن ؟

لم تكلم الجدة ، ولكن لورا فهمت واجابت في الحال :

- فيما يتعلق بالزواج فإنه لا مجال لكلمة (يحسن) ، فالزواج المتعب

افضل من الوحدة ، مسكين جرائنت هذا . أنا لا اعطف عليه ، ولكني فقط اعتقد ان رجلاً يعرض الزواج على امرأة مرارا وتكرارا ، ثم يستمر في اخلاصه لها ، هو رجل يحب القضايا الخاسره ..

من المؤكد انه كان يسمد كثيرا لو انه شارك في معركة (دنكرك) ولكن .. مسا يناسبه حقا ، هو الاشتراك في (هجوم فرقة الخيالة الخفيفة) ؟

ما اكثر حيننا في المجلاتا لهزائنا وخسائرها .. وما اشد شجبلنا من انتصاراتنا ؟

الفصل الثاني

الوصيفة

- ١ -

عادت آن إلى منزلها لتجد وصيفتها المخلصة أديث في حالة سخط
وقد نمر . . .

قالت لها أديث وهي تظل برأسها من المطبخ :

- لقد أعددت لك شريحة ممتازة من اللحم للفداء ، وحساوي كريم
كراميل أيضاً .

أجابتها آن :

- اسفة جداً يا أديث ، لقد تنازلت غذائي مع لورا ، ولكنني أخبرتك
بالتليفون إنني أحضر للفداء .

- كان ذلك بعد أن أعددت شريحة اللحم والكريم كراميل ا

كانت أدبت امرأة مديدة القامة ، ذات وجه متجهج ، وقم متفرد
على الدوام ، ولكنها كانت ذات قلب من ذهب ، وكانت تحب أن وسارة
حباً لا مثيل له ..
قالت تونب آن :

- ليس من عادتك أن تتفذي فجأة خارج المنزل .. سارة هي التي
تفعل مثل هذه الأشياء لا أنت .. هل تعلمين إني وجدت القفاز الذي
قلبت الدنيا بحسباً عنه قبل سفرهما ؟ وجدته محشوراً خلف وسادة
الكنبة ؟

قالت آن وهي تتناول القفاز الحريري الجميل :
- وأسفاه .. على العموم لقد سافرت سارة ا
- لا شك إنها كانت سعيدة جداً بهذه الرحلة .
- طبعاً .. هي ورفيقاتها في المدرسة ، الجميع كن سعداء ..
- لا أظن إنها سوف تكون سعيدة في رحلة العودة .. هذا إذا لم
تعد على نقالة ؟

هتفت آن :

- رياه .. لا تقولي أشياء مثل هذه يا أدبت ؟
هزت أدبت كتفها وقالت :

- ولكن جبال سويسرا خطيرة جداً . إن المرء يكسر ذراعه أو
ساقه أثناء تسلقه هذه الجبال ، ثم يضع العضو المكسور تحت الجبس ،
وقد يصاب العضو بالغرغرينة بالرغم من الجبس ، ويكون الموت هو
النتيجة المحترمة ، ذلك فضلاً عن الرائحة البشعة التي تنبعث من تحت

الجيس ؟

ضحكت آن على الرغم منها وقالت :

- على كل حال دعينا نأمل ألا يحدث ذلك لسارة !
كانت آن متعودة على تنبؤات أديث الخيفة ، التي تجد فيها أديث
متعة غريبة .

قالت أديث وهي تتنهد :

- لن يكون المنزل هو نفس المنزل بدون سارة .. لن نتعرف على
أنفسنا لشدة الهدوء .

- على كل حال سوف تجدين شيئاً من الراحة ؟

صاحت أديث في كهرياء :

- الراحة ؟ وما حاجتي إلى الراحة ، إنني أفضل أن أبلى من التعب
على أن اصداً من الراحة .. هذا ما تعلمته من أمي يرحمها الله ، وهذا
مما أخذت به نفسي طوال حياتي .. إنني سوف انتميز فرصة سفر
ابنتك وأقوم بعملية تنظيف للمنزل .. هذا المنزل يحتاج لتنظيف
شامل !

.. لا أشاطرك هذا الرأي ، يا عزيزتي أديث .. فالمنزل نظيف
تماماً ..

.. هذا ما لمحسبينه انت ، ولكني أعرف أكثر منك ! إنني أعرف ان
جميع الستائر تحتاج إلى غسل وتنظيف ، وإن جميع ازرار الكهرياء
تحتاج إلى تلميع . أوه .. هناك الف شيء وشيء يحتاج إلى تنظيف في
هذا المنزل ؟

قالت ادبث هذا وعيناها تلعان سروراً بالتعب المرتقب .

قالت لها آن :

- استعيني بواحدة تساعدك ا

ولكن ادبث صاحت بصوت ارتجت له الجدران :

- آا ؟ آا استعين بواحدة في عملي ؟ آا لا آن أي امرأة غريبة

تدخل هنا .. هناك اشياء ثمينة في هذا المنزل تحتاج إلى عناية حقيقية ،

ولولا انشغالي الدائم في المطبخ لأشرفت على العناية بها قبل سفر ابنتك ،

ولكن ها قد جاءت الفرصة ؟

- أنت تطبخين ببراءة يا عزيزتي ، وانت تعرفين ذلك أيضاً ا

ارتسمت على وجه ادبث المتجهم ابتسامة خيلاء رلماً عنها حاولت

اخفائها بالتطبيب ، قالت :

- آه الطهي .. لا براءة هناك في الواقع .. آا لا أسمى الطهي

عملاً ..

ويهدء الجملة الختامية استدارت إلى المطبخ ، ولكنها سألت سيدتها

قبل ان تخنفي :

- حق تريدن أن تتناولن الشاي ؟

- أوه .. ليس الآن .. بعد نصف ساعة .

قالت ادبث :

- إذا يحسن بك ان تخلمي حذاءك ، وتساخذي غفوة قصيره قبل

الشاي ، فتشمرين بنشاط في المساء ، إن سفر ابنتك فرصة لك أيضاً ،

هيا سيري أمامي ؟

سارت أن وخلفها اديث حتى وصلت إلى غرفة الاستقبال ، وتقدمت على كنية وثيرة ، وخلعت لها اديث حذاءها ، ووضعت وسادة ناعمة تحت رأسها ..

قالت ان :

- إنك تعامليني كأنني طفلة يا عزيزتي ا

- لقد كنت طفلة صغيرة عندما استخدمتني والدتك لأول مرة ، ولا اعتقد أنك تغيرت كثيراً .. على فكره ، فقد طلبك الكولونيل جيمس جرانت بالتليفون ليذكرك بأن موعدك معه هو الثامنة مساء في مطعم (موجادرو) ، وقد قلت له أنك تذكرين الموعد جيداً ، ولكن هذا طبع الرجال على أي حال .

- إنه شيء لطيف من جيمس ، انت تحاول التسرية عني منذ المساء .

قالت الوصيعة في امتعاض :

- لا اعترض عندي على الكولونيل ، قد يكون مزعجاً ووقاراً ، ولكنه رجل مهذب (جنتهان) .

ثم توقفت لحظة وازدادت :

- على العموم . قد تقمين فيمن هو اسوأ من الكولونيل جرانت بكثير ا

هتفت آن :

- ماذا قلت يا اديث ؟

ولكن الوصيعة واجهتها بعين لا تطرف ..

قالت انه يوجد من هو اسوأ بكثير من الكولونيل جرانت .
أوه . اعتقد إننا لن نرى مسر جيبي كثيرا ، حيث ان ساره
ليست في المنزل ؟
قالت آن :

- انت لا تحبين جيبي يا ادبث ، اليس كذلك ؟
- نعم ولا .. انه حقا شاب جذاب ، وهذا شيء لا يمكن انكاره ،
ولكنه ليس شابا جيدا .. فقد تزوجت اخي مسارلين رجلا من هذا
النوع ، إنه لا يستقر في وظيفة واحدة اكثر من ستة اشهر ، ودائما
يلقي باللوم على الغير ؟

ثم خرجت الوصيفة من الحجرة واكاليل الغار فوق رأسها ، اما آن
فإنها اغضت عينيها واسترخت لتستريح قليلا .

جاءت من بعيد اصوات عربات السرام ، وكلاكسات السيارات في
الشارع ، ولكنها كانت خافتة كأنها موسيقى ناعمة ، وعلى المائدة القريبة
منها إزاء به باقة من الورد تنبعث منها رائحة ذكية تملأ الجو بالنعومة
والدعة .

وشعرت بالسلام والهدوء يحيطان بها ، سوف تفتقد ابنتها كثيرا ،
ولكنه أيضا شيء ممتع ان تنفرد بنفسها بعض الوقت .

ما اغرب ذلك الرعب الذي اجتاحتها هذا الصباح .
وتساءلت عند ذلك عن نوع السهرة التي سوف تنضمها مع صديقتها القديم
كولونيل جيمس جرانت .

وسرعان ما راحت في سبات عميق .

كان مطعم (موجدور) من المطاعم القليلة التي لا زالت تحتفظ بطابع الأيام الخالية ، وتتميز بالأطعمة الممتازة والخمر الممتعة ، وتوحى لروادها بذلك الجو الودييع من التآلي والموسيقى الهادئة .

وصلت آن إلى المطعم لتجد الكولونيل جالساً ينتظرها في بار المطعم وعلى ملامحه دلائل القلق واللهفة ..

امرح يحييها في سرور صادق ، ويتأمل باعجاب ثوبها الأسود المعتمم وعقد اللوازي الذي يحيط برقبتها ، قال :

- آن .. ما قد وصلت ، من البدييع حقاً ان تكون المرأة جميلة ومراظبة على المواعيد ايضاً !

ابتسمت واجابت :

- لقد تأخرت ثلاث دقائق فقط لا أكثر ؟

كان الكولونيل جرانت رجلاً طويل القامة متناسق الأعضاء ، وله حركات رجال الجيش المنتظمة ، ويكامل رأسه شعر رمادي حليق .. نظر إلى ساعته وقال :

- لماذا لم يحضر الباقرن حتى الآن ؟ إن مائدتي سوف تكون جاهزة في الثامنة والنصف ، ولكن دعينا نتناول مشروباً أولاً .. ماذا

قشريين ؟ شيري ؟ انك تفضلينه عن الكوكتيل ، اليس كذلك ؟

- نعم .. من هم الباقون ؟

- آل سينجهام ، هل تعرفينهم ؟

- طبعاً !

- وايضاً جيليفر جرام ، انها ابنة عمي ، ولا ادري ما اذا كنت

قد قابلتها من قبل أم لا ؟

- لقد قابلتها مرة معك !

- وهناك ايضاً ريتشارد كولدفيلد .. فقد قابلته مصادفة بالأمس ،

بعد فراق دام سنوات ، فقد أمضى معظم سنوات عمره في بورما ، وهو

يشعر الآن بفرية لوجوده في إنجلترا بعد كل هذه السنوات ؟

- نعم .. اعتقد اني افهم شعوره .

- انه شخص لطيف ، وقد مر بأساة قاسية في الماضي ، فقد

توفيت زوجته وهي تضع مولودها الأول .. كان يعبدها ولم يستطع

البقاء في إنجلترا بدونها .. ولم يستطع ان ينساها ، ولذلك ذهب

الى بورما .

- وماذا جرى للطفل ؟

- مات أثناء ولادته !

اجابت ان في أسف :

- يا لها من مأساة ؟

- اه .. ما قد اقبل آل ماسينجهام ..

كانت مسز ماسينجهام امرأة جسافة العود ، وكانت بشرتها مليئة

بالبنور التي اكتسبتها أثناء وجودها في الهند .
وكان مسر ماسينجهام رجلاً قصير القامة ، لا يكاد المرء يشعر بوجوده
إلا إذا تكلم .

قالت مسر ماسينجهام وهي تصافح آن بجرارة :
... ما أسعدني برؤيتك من جديد يا عزيزتي .. ما أبدع فستانك ..
أعتقد إنني دائماً اختياري الفساتين التي ارتديتها في المساء ..
وهذا هو رأي جميع أصدقائي أيضاً .. ولكفي اعتقد أن الحياة
عموماً أصبحت كثيفة وخالية من البهجة .. في الحقيقة ، لا أظن
إنني وزوجي سوف نبقى في إنجلترا إننا نفكر في الرحيل إلى
كيبيا ؟

وأضاف مسر ماسينجهام :
... كثيرون جداً يفكرون في الهجرة خارج إنجلترا ، والحكومة هي
السبب ا

قال كولونيل جرانت :
... ها هي جنيفر قد حضرت ومعها كولدفيلد
كانت جنيفر في الخامسة والثلاثين من عمرها ، لها وجه مثل وجه
الحصان ، ومن عاداتها أن تضحك بصوت يشبه الصهيل ..
أما ريتشارد كولدفيلد ، فقد كان رجلاً في منتصف العمر ، وله بشرة
لوحتها الشمس ..
جلس الجميع حول مائدة في البسار .. وجاءت جليلة آن بجوار
ريتشارد كولدفيلد ..

وشرعت آن من باب اللياقة تجاذبه الحديث ..

هل مضى عليه وقت طويل في المجلترا ؟

ما هو رأيه في المجلترا بعد غيبته الطويلة عنها ؟

وأجابها بأن الأمر كان صعباً في البداية ، وأن كل شيء قد تغير عما كان يعرفه عليه قبل الحرب .. ثم أضاف بأنه يبحث عن وظيفة ، وإن كان العثور على وظيفة ليس سهلاً بالنسبة لرجل في سنه .

قالت آن :

— هذا شيء مزعج ، وهذا خطأ أيضاً ؟

ابتسم ريتشارد وقال :

— إني لم أبلغ الخمسين بعد ، وعندني قووة لا بأس بها ، وإذا لم أوفق إلى وظيفة فلأنني قد اشتري مزرعة في الريف وأعمل في زراعة الخضروات وتجارة الدواجن ؟

صاحت آن :

— كل شيء إلا الدواجن .. عندي أصدقاء كثيرون جربوا الدواجن ثم انصرفوا عنها ، يبدو أن الدواجن تتعرض للأمراض دائماً .
— لعلي إذا اكتفي بزراعة الخضروات ، لن أكسب منها كثيراً ، وإنما سوف أقضي حياة سعيدة !

— الحقيقة أنه من الصعب أن يعرف الانسان ماذا يريد من هذه الحياة ؟

— هذا لا يعجبني البتة ، إني أعرف أنه ما دام الرجل يمتلك الثقة

في نفسه والارادة ، فإن المشاكل تدوب أمام عزيمته ..

قالت آن وهي غير مقتنعة :

- من يدري ؟

قال في حرارة :

- أوكد لك ما أقول .. اني اكره ذلك النوع من الناس الذي يضي

عمره شاكياً باكياً ، ملوحاً أمام الدنيا كلها بسوء حظه في الحياة .

قالت ان وقد شاركته حماسه :

- أوه . في هذا أوافقك ..

رفع حاجبيه دهشة من حماسها المفاجيء ، ثم قال :

- يبدو أن لك تجربة مماثلة

تنهدت وأجابت :

- طبعاً .. إلي أعرف شاباً من هذا النوع .. انه صديق لابنتي ،

وهو لا يحدتنا عن شيء إلا عن فشله في الحياة .. في البداية كنت أعطف

عليه ، وأخيراً امتلأت منه مللاً وضجراً ، وصرت أعير شكواه

أذناً صماء ؟

هتفت السز ماسينجهام عبر المائدة :

- ان الشكوى من سوء الحظ شيء ممل كثيراً .

سألها كولونيل جرانت :

- من تقصدين بكلامك هذا ؟ جيرالد ليولد ؟ انه لن ينجح في

شيء قط ؟

قال ريتشارد كولدفيلد في هدوء :

- اذن فلذ ابنة ، ولا بد أنها شابة ما دام لها صديق شاب .
قالت آن بتحمل :

- أوه .. نعم .. ابنتي في التاسعة عشر ..

- هل تحبينها كثيراً ؟

- طبعاً !!

ارتسمت على وجهه علامات ألم .. وقد ذكرت آن مأساته التي حدثها
عنها كولونيل جرانث .. شعرت بأنه رجل وحيد في هذه الدنيا .
قال لها بصوت منخفض :

- من يراك لا يتصور ان شابة مثلك لها ابنة شابة .

ضحككت وقالت :

- هذه هي المسألة المعهودة التي يقولها الناس لامرأة في مثل

سني ؟

- ربما ، ولكنني عنيت ما قلت .. هل زوجك ؟

ردد لحظة ، ثم قال :

- لست ؟

- نعم .. قوفي منذ عهد بعيد ا

- لماذا لم تتزوجي بعده ؟

كان سؤالاً خالياً من الكياسة ، ولكن الاهتمام الصادق البشري
على وجهه ، جعلها تشعر بأنه شخص بسيط ، وأنه حقا يريد أن
يعرف السبب .. أجابت :

- أوه .. ذلك بسبب ..

ثم توقفت لحظة ، ثم عاودت الحديث في حراره واخلاص :
- لقد كنت أحب زوجي حبا عظيما ، وعندما مات لم أحب احدا
بعده قط .. وهناك ابنتي ايضا .

قال كولدفيك :

- نعم .. هذا حقا ما يحدث مع امرأة من طرازك .
نهض كولونيل جرانت واقترح على الجميع أن ينتقلوا إلى صالة
الطعام ..

وجاءت جلسة أن هذه المرة بين كولونيل جرانت وبين مستر ماسينجهام
ولم تفتح لها فرصة حديث جديد مع ريتشارد كولدفيك الذي انخرط في
حديث مع جنيفر غراهام ..

مس كولونيل جرانت لأن :

- أعتقد ان كولدفيك وجينيفر يصلحان زوجا وزوجة ، انه محتاج الى
زوجة كما تعرفين ؟

ورغما عنها شعرت أن ان هذه الفكرة تضايقها .
جينيفر جراهم التي تشبه الحصان ، وتحدثت بصوت كالرعد لا تصلح
قط زوجة لشخص مثل ريتشارد كولدفيك ؟

ولكنها انخفت ضيقها متظاهرة بانها كما في تناول طعامها ..
سألها جرانت :

- هل سافرت ابنتك هذا الصباح ؟

- نعم يا جيمس .. وأرجو ان تتمتع بوقت سعيد فوق تلوج
سويسرا !

- انا واثق انها سوف تفضي وقتنا رائعا .. على فكرة هل صاحبها ذلك
الشاب جيرالد ليولد في الرحلة ؟

- لا .. فقد ذهب الى مزرعة عمه !

- حمداً لله .. لقد كانت براءة منك يا آن ان تباعدي بينهما !

- ليس ذلك شيئاً سهلاً دائماً .

- على كل حال ان تراه لمدة ثلاثة اسابيع ، فدهينا نأمل ان تتعلق
بشباب غيره اثناء الرحلة ؟

قالت آن :

- ان ابنتي ما تزال صغيرة جداً يا جيمس ، ولا اعتقد ان علاقتها
مع جيرري ليولد كانت علاقة جادة على اي حال .

قال جرانف :

- جائز .. ولكنها كانت مهمة به جدا طول الوقت .

ابتسمت في حنان وقالت :

- هذه هي طبيعة ابنتي العزيزة .. انها تهتم بكل من تحب ..
تتصور انها تعرض الصالح لأصدقائها خيراً منهم ، وتفرض عليهم ان
يقوموا به .

- انها طفلة ظريفة حقاً ، وجميلة ايضاً ، ولكنها ان تكون قط جميلة
مثلك يا آن ، ولا وديمة مثلك .. انها من الجيل الجديد .. الجيل
الصلب .

قالت آن وهي تبسم :

- لا أعتقد ان سارة صلبة جدا مثل باقي افراد جيلها ا

- كم اتقى لو ان فتيات هذا الجيل حاولن ان يتعلمن شيئا من جاذبية

أهاتهن ..

كان جرائد ينظر اليها في شغف ، وفكرت في نفسها :

- جيمس العزيز .. كم هو لطيف معي .. انه يتصور اني امرأة

مثالية .. هل الا حقا اذ يتصور اني امرأ مثالية ..

هل الا حقا اذ ارفض عرضه للزواج ؟ ارفض ذلك الحب والتقدير

والشغف ؟

وفجأة وقع ما يعترض سير هذه المشاعر الرقيقة ..

بدأ الكولونيل يقص حكاية زوجة المهراجا ، الذي كانت صديقا

له في الهند .

قصة سمعتها ثلاث مرات من قبل ا

تبددت المشاعر الرقيقة وانصرفت خواطرها عن الكولونيل وانشغلت

بتأمل ريتشارد كولدفيلد ..

انه يبدو واثقا من نفسه اكثر مما ينبغي ، ام ان هذه الثقة هي سلاحه

في مواجهة عالم غريب عنه ؟

كان وجهه وجها حزينا حقا - وجها وحيدا ا

ولكن له بعض المزايا ايضا .. انه يبدو عطوفا امينا صادقا نزيها ،

عنيذا ربما ومتعصبا احيانا ، ولكن في نفس الوقت يدمر خلاله الطبيعة

إذا رواها الحب الصادق ..

وقطع عليها خواطرها صوت الكولونيل غرانت وهو يصيح :
- وهى تصدقون السبب .. لقد كان السائس يعرف الحقيقة
من البداية ..

عادت آن الى اللحظة الحاضرة فيما يشبه الصدمة وشاركت السامعين
في الضحك المناسب لقصة زوجة المهرابا الهندي ؟

الفصل الثالث

الحلم

- ١ -

ففتحت آن عينيها في الصباح التالي وللوهة الأولى لم تعرف أين هي .. هذه النافذة كان يجب ان تكون ناحية اليمين لا ناحية اليسار ، والباب ايضا ليس في مكانه ، ودولاب الملابس .. كل شيء ليس في مكانه المعتاد .. لماذا ؟

وعند ذلك تنبهت حواسها وأدركت أنها كانت تحلم .. كانت تحلم بأنها عادت شابة صغيرة في منزل أسرتها في أيبلاستريم ..

لقد عادت إلى المنزل وهي في حالة شديدة من الانفعال ، فقابلتها أمها وقابلتها أديث (الشابة) . فقد دارت حول المنزل تتفقد الحديقة ،

وتأمل الزهور ، ثم دخلت المنزل .
كان كل شيء كعادتها به ، الصلاة خافتة الضوء ، وحجرة الاستقبال
الملحقة بها ..

وعند ذلك فاجأتها أمها بأن قالت :
- سوف نشرب الشاي هنا اليوم ..
ثم قادتها من يدها إلى غرفة لم ترها من قبل .. غرفة أنيقة وضيئة
ملينة بالزهور والستائر ، ذات الألوان الجذابة !
ثم قال لها صوت :

- لم تكوني تعلمين من قبل بوجود هذه الحجرات .. اليس كذلك ؟
فقد وجدناها في العام الماضي ..
ورأت حقا حجرات كثيرة جديدة ، وسلام مؤدية إلى حجرات أكثر
في الدور الأعلى ، كان شيئاً رائعاً ومثيراً .

وحق بعد استيقاظها كانت آن لا تزال تحت تأثير ذلك الحلم .
كانت آن (الشابة) التي تواجه الحياة بقلب الفتاة ذات الخمسة عشر
ربيعاً ، هذه الحجرات المجهولة .. تصور أنها لم تعرف بوجودها طيلة هذه
السنوات .. متى تم العثور عليها ؟ حديثاً ؟ أم منذ سنوات ؟

وشيناً فشيناً بدأت اليقظة تبده تأثير ذلك الحلم وتحو ذكرياته .
لقد كان حلماً سعيداً ، ولكنه ترك في نفسها الآن ما يشبه اللوعة
والأسى .. الانسان لا يمكن أن يعود إلى الماضي ، ولكن ما أغرب
تأثير ذلك الحلم عن منزل به حجرات مجهولة ..

فقد شعرت آن بحزن حقيقي ، لأن هذه الحجرات لم تكن قط
شيئا واقعيا ا

ظلت آن مستلقية في فراشها وهي تراقب الضوء المتسرب من ستائر
النافذة وهو يزداد وضوحا .. لا بد أن الوقت متأخر ، التاسعة صباحا
على الأقل . إن الصباح الباكر ليس له ذلك الضوء القوي في المجلترا ،
أما سارة فإنها سوف تستيقظ في سويسرا كي تطلع الشمس الساطعة
والشعاع البيضاء ا

سارة .. من الغريب ان آن لا تشعر بها بوضوح الآن .. إنها في مكان
بميد .. في مكان غير واضح .

أما الذي كان واقعيا ، فمر ذلك المنزل في أيلستريم ، والحجرات
الجهولة ، والزهور والستائر الجميلة و .. أمها ا واديت ايضا تقف
في خشوع ، ووجهها لا يزال شابا ، لم ترسم عليه بعد علامات التجهم
والتدمر .

ابتسمت آن ثم نادى :

- أديت ا

دخلت أديت الحجرة وأزاحت الستائر ثم قالت :

-- حسنا .. لقد نمت جيدا هذه الليلة ، لم يكن في ذيتي إيقاظك ، إنه
ليس يوما جميلا على أي حال ، هناك ضباب في الأفق .

كانت السماء خلف النافذة تبدو رمادية مكفورة ، ولكن احساسها
بالسعادة والدعة لم يتأثر ، ظلت مستلقية وهي تبتسم .

قالت اديت :

- افطارك جاهز ، سوف احضره لك ؟

ثم نظرت إلى سيدتها وقالت :

- انت تبدين سعيدة هكذا الصباح ، لا بد انك امضيت سهرة

جميلة بالأمس !

قالت آن في دهشة :

- بالأمس ؟ أوه .. نعم كانت سهرة بديمة جدا ، اسمي يا أديث ،

هل تعلمين اني رأيت نفسي في المنام في منزلنا القديم ؟ ورأيتك أيضا

وكان الوقت صيفا ، وكان في المنزل حشرات جديدة لم ارها من قبل !

- الحمد لله الي لم ارها أيضا ، فقد كان بالمنزل من الحشرات ما يكفي ،

ذلك المطبخ الشاسع .. ربه كلما تذكرت تلك الكميات من الفحم التي كنا

نستعملها ، من حسن الحظ أن الفحم كان رخيصا عندئذ !

- لقد كنت ما تزالين شابة يا أديث ، وأنا أيضا .

قلبت الوصيعة شفتيها امتعاضا وقالت :

- نحن لا نستطيع أن نعود بالزمن الى وراء اليس كذلك ؟ فقد مات

ذلك الماضي وقبر واندر .

قالت آن في نعومة :

- نعم ، مات وقبر واندر ؟

- على العموم فأنا لست حزينة لانقضاء الشباب ، ليس هندي ما

أشكو منه ، صحتي جيدة وقوتي ممتازة ، ولو انهم يقولون ان خريف

العمر ، هو الفترة التي تبدأ الأمراض فيها تهاجم الانسان من الداخل .

- انا واثقة انك مريضة بأي مرض يا أديث .

- وما ادراك ؟ هذا شيء لا تعرفينه إلا به - ان تسقطي صريخة المره ، ويحملونك الى المستشفى ويمزقونك اربا اربا وعندئذ سوف تتأكدين أنك مريضة بمد فوات الأوان .

وبهذه الجملة (المتفائلة) غادرت الخادمة المحجرة .

وبعد دقائق عادت وهي تحمل الافطار قائلة :

- ما هو الافطار ، اعتدلي قليلا حتى أضع وسادة خلف ظهرك لتتمكني من الأكل في السرير ؟

قالت آن وهي تنفذ تعليمات خادمتها المخلصة :

- ما أشد نحنانك علي ..

احمر وجه الوصيفة المتجهم وتمتمت :

- اني احب أن يكون كل شيء دقيقا ، هذا كل ما هنالك ، وعلى العموم فأنت محتاجة دائما ان يرعى شؤونك .. فأنت لست سيدة صلبة العود .. لست مثل صديقتك لورا التي لا يقوى البابا نفسه على الوقوف في وجهها ؟

قالت آن وهي تحنسي قهوتها :

- ان لورا شخصية عظيمة ..

- اعرف ذلك .. فقد سمعتها كثيرا تتحدث في الراديو ، ان صوتها وحده يدل على انها امرأة عظيمة .. ومظهرها ايضا .. وقد سمعت ايضا انها نجحت في أن تتمر على زوج في وقت ما ، كيف انفصلا ؟ هل كان السبب هو الموت ام الطلاق ؟

- الموت .. فقد مات زوجها ا

— ذلك من حسن حظك ، وايم الحق .. انها ليست من النوع الذي
يجرؤ اي رجل على ان يجيا معها مدى الحياة .. ولو ان هناك
رجالا يحبون ان تكون زوجاتهم من المسيطرات على شؤون
حياتهم ..

ثم انجبت نحو الباب وهي تقول :

— والان تناولي افطارك على مهل وتمعي بالكسل والاسترخاء في
السرير وحاقني مع افكارك السعيدة في هذه العطلة ؟



ابتسمت وتتمت لنفسها :

— عطلة ؟ هل هذا ما تطلقه عليها ادبث ؟ وعذ ذلك فإن هذا كان
شعورها بشكل ما .. اثناء وجود ابنتها كان هناك دائما قلق ما يسيطر
على عقلها الباطن .. كانت تجد نفسها امام عشرات الأسئلة : وهل ابنتها
سعيدة ؟ ، وهل يحبها أصدقائها ؟ ، وهل ضايقها احد في سهره
الأمس ؟

انها لم تتدخل قط في شؤون ابنتها ، لم تكن ابنتها لتسمح بذلك على
أي حال .. لم توجه أي اسئلة .. كانت تؤمن بأن ابنتها يجب ان
تعلم كل شيء بنفسها .. ولكن حبا كان يحيطها دائما بذلك الغلق
عليها ..

وكان عليها أيضا ان تكون في حالة اعتماد في اي لحظة تقصدها

فيها. ابنتها طلباً لمساعدتها الأدبية والنفسية .

كانت تحدث نفسها أحياناً : يجب أن أتوقع أن يحدث مكروه لأبنتي ،
ولكفي لن أ تدخل إلا إذا شعرت بأنها في حاجة الي .. لن أشمر قط
بسيطرتي أو بتدخلتي في شؤونها .

ثم حدث المكروه .. ذلك الشاب المزعج جييري ليولد الذي نجح في
أن يحظى بكل اهتمام ابنتها .

عشاً حاولت أن تفصل بينها .. والآن .. ها هي ابنتها بعيدة
عن ذلك الكابوس الحي .. ومن المؤكد أنها ستقابل شبانا افضل منه
الف مرة ..

وما دامت ابنتها في سويسرا ، فإنها تستطيع أن تطرد من ذهنها
كل هذه الأفكار المتشائمة التي مصدرها جييري ليولد .. تستطيع أن
تتمرغ تحت هذه الأغطية الحريرية ، وتفكر فيا تفعله اليوم ا
فقد سمعت حقا بسهرة أمس ..

جيمس غراقت العزيز .. ما الطفله بالرغم من قصصه الملهمة .. يا لها من
قصص رائعة سخيفة ..

يجب على الشخص عندما يبلغ الخامسة والأربعين من عمره ان يكف
عن إلقاء هذه القصص السخيفة .. ألا يشعر المسكين بالضجر يحتاج سامميه
عندما يبدأ كلامه : د أم اخبركم بهذه القصة الغريبة التي حدثت لي ؟ ، ،
وهكذا وهكذا ا

ومن الممكن جداً أن يرد احد سامميه بل أخبرتنا بها من قبل يا
جيمس ثلاث مرات على الأقل ا

من المؤكد أن جيمس سوف ينجل عند ذلك . لا ، قسوة .. لا يجب أن يواجه أحد مثل هذا الرد ؟

وذلك الشخص الآخر رينشارد كولدفيلد ، إنه أصغر من جيمس ، ولكن أمه (مع تقدم العمر) ، يكتسب أيضاً تلك المادة المقيمة في الغاء قصص لا تنتهي .

ولكن آن لم تتصور أن كولدفيلد قد يصبح مثل غرانت ، إنه قد يتطور إلى انسان انطوائي ، انسان مليء بالمرارة والتمصب ، قد يتصرف تصرفات غير معقولة أحياناً ، ولكنه عموماً شخص لطيف ، انه شخص وحيد .. وحيد جداً .. انه ضائع بمفرده في تلك الغسابة الهائلة التي اسمها لندن .

تري اي وظيفة سوف يحصل عليها ؟

ليس من السهل الحصول على وظيفة هذه الأيام .. لهه سينتهي إلى شراء تلك المزرعة في الريف ، وإلى الاتجار في الخضراوات .

تري هل ستقابله مرة ثانية ؟ هل تدعو جيمس الى العشاء يوماً ، ثم تلح له أن يدعو كولدفيلد ؟

انها تشعر بأن ذلك سوف يخفف من شعوره بالوحدة ، ما افطع هذه الضوضاء التي تحدثها أدبث .. كأنها جيش كامل يحاول بكل ممداته من ميدان القتال ، ومع ذلك فإن هذه الضوضاء الخفيفة هي الدليل على ان ادبث في اقصى حالات النشوة .

بعد لحظات فتحت ادبث الباب ودخلت ورأسها معصوب بمنديل ، وعلى وجهها تلك العلامات التي تكون على وجه كاهنة تقوم بطقوس

وثنية مخيفة قاتلة :

- اتناول طعامك في الخارج ، اليس كذلك ؟ فقد أخطأت بخصوص الضباب ، إنه يوم مشمس ، وإذا أحببت فإنك تستطيعين الخروج والتنزه وتناول الغذاء في مطعم ، وسوف انتهمز أنا هذه الفرصة للقيام بتنظيف شامل للمنزل .

ضحكت آن وقالت :

- حسناً يا ادبث ، سوف اخرج ، ولكن ارجوك الا تقتلي نفسك من شدة العمل ، ولم لا تستعينين بامرأة أخرى ؟ مسز جوهر مثلاً .
- مسز جوهر ؟ هل تظنين إنني أسمح لها بالدخول هنا مرة أخرى ؟
هل تظنين بأني أرك تلك المرأة الحاملة تنظف الفضيات والزجاج والأدوات المعدنية ، والآن استمدي للخروج لأنني أريد أن ابدأ بتنظيف السجاجيد ..

- هل أستطيع ان اعود في المساء ، أم تفضلين أن أقضي الليلة في فندق ؟

ولكن أدبث لم تضعك ، وقالت :

- لا مزاج من فضلك .. على فكرة هذه الطاسة التي اشتريتها لي بالأمس ليست جيدة .. إنها كبيرة ويصعب تقليب أي شيء فيها ، أنا أريد طاسة مثل القديمة .

- ولكنهم كفوا عن انتاج ذلك النوع ..

ردت ادبث في ازدهاء :

- هذه الحكومة .. إلى أين يريدون ان يصلوا بنا ، على العموم لا

تلسي شراء طقم (السوفليه) الصيني .

- أعتقد اني سوف اعثر عليه .

- هذا شيء، يشغل وقتك على أي حال ا

- من يسمعك تحدثيني هكذا يا أديث يتصور انني طفلة صغيرة ،

وانك قلبيتي بلعبة أو بنزلة ؟

ابتسم وجه الوصيفة المتجهم وقالت :

- لعل السر انك في غياب ابنتك تبدين أصغر بكثير ، وعلى العموم

فسوف أحدثك بالطريقة التي تعجبك ؟

واعتمدت في وقتها وقالت بلهجة احترام :

- إذا وجدت نفسك يا سيدتي قريبة من (مخازن الجيش والأسطول)

فأرجو أن ..

- حسناً .. سأحضر لك طقم (السوفلية) .

السحبت الخادمة من الغرفة لتبدأ هجومها المرقب على الآلات والسجاجيد

وشرعت آن تستعد للخروج .. وسرعان ما تراسى اليها صوت الوصيفة

وهي تقفي في صوت أشبه بالولولة والنحيب .

أين من عيني هاتيك الدماء

تملأ الدنيا بالأم البلاء

وسماء اختفى منها الضياء

طار فيها الجن ومصاصو الدماء ا

أخذت آن تمشي الهويننا في (مخازن الجيش والأسطول) ، وهي تتطلع إلى مئات الأصناف من الصعاف الصيفية والأدوات المسدنية . لم تكن كل الأصناف للبيع ، كان بعضها (معد للتصدير) ، وكانت هذه الأصناف أجل ألف مرة من الأصناف المعروضة للبيع ..

ولكن احساسها بالحرمات من هذه الأدوات الجميلة ، لم يمنحها من الاعجاب بقدره المصانع على إنتاج هذه الأدوات البالغة حد الروعة من الجمال والاتقان ..

وعثرت آن أثناء لجوالها على طقم صيفي جميل للسوفلية ، وكان اخر واحد من نوعه ، فاشترته في الحال ..

وفي نفس اللحظة صاحت امرأة :

- سوف أشترى هذا الطقم .

ولكن البائعة أجابت :

- اسفة ياسيدي ، فقد بيع في التو ؟

ردت ان مجامة للمرأة :

- أا اسفة جداً !

ثم سارت وهي سعيدة بتوفيقها في العثور على شيء سوف رضى

عنه أدبث ا

حملت مشاربها ، ثم دخلت إلى قسم (الأدوات الزراعية) ، كانت
ترجو أن تمر على بعض الأصص لفرقة الاستقبال .

كانت تتكلم مع البائع عندما جاءها صوت من خلفها يقول :
— صباح الخير يا مسز برنتيس .

استدارت لتجد ريتشارد كولدفيلد واقفاً ينظر إليها وعلى وجهه مرور
كسرور الطفل ا

احمر وجهها دون أن تشعر ، ولكنه يادرها قائلاً :

— ما أجل أن أقابلك صدفة هكذا .. لقد كنت افكر فيك لتوي ،
فقد لت نفسي لأني لم أسالك عنوانك ليلة أمس ، ولم استأذنك في أن
أزورك ، والواقع إن ما منعتني من ذلك هو خوفي من أن تحسبيني متطفلاً ،
لا شك أن لك العديد من الأصدقاء .. و ا .

قاطعته مسز برنتيس قائلة :

— سوف أكون سعيدة بتكلمتي إذا زررتي .. أنا أيضاً كنت افكر
في الاتصال بالكولونيل جرانيل لطلب منه أن يدعوكم لزيارتي ..

هتف ريتشارد في ذهول :

— حقاً ؟ حقاً ؟
General Organization of the Alexandria Library
Bibliothèque d'Alexandrie

يا للسكين .. لا بد أنه يشعر بوحدة قائلة .. وهذه الابتسامة السعيدة
على وجهه البسيط تؤكد ذلك ا

— لقد كنت اشاري بعض الأصص لحجرة الاستقبال .. ولكن ماذا

تفعل أنت هنا ؟

- لقد كنت أفضح أفضح الدجاج .

- اما تزال تفكر في تربية الدواجن ؟

- لم أصل إلى قرار بعد .

سار الاثنان نحو باب الخروج ، وفجأة سأها كولدفيد :

- ترى هل في امكاني أن أدهوك لتناول الغذاء معي ؟ هذا إذا كنت

غير مرتبطة بموعد سابق طبعاً !

ضحكت ان وردت ببساطة :

- لست مرتبطة ويسعدني كثيراً ان أقبل دعوتك ، والواقع إنني

ممنوعة من العودة إلى منزلي طوال اليوم .

قال في دهشة :

- ممنوعة ؟

- نعم .. إن خادمتي تنظف المنزل اليوم بمناسبة فصل الربيع ، وقد

منعتني منعاً باتاً من العودة قبل المساء ؟

قال في سذاجة :

- وكيف تسمحين لما أن تعاملك هكذا ؟

- اوه .. إن أديت خادمتي وصديقتي .. إنها معي منذ وقت

كنت طفلة ..

- آه .. هكذا !

ولكنه في الحقيقة شعر بعطف على هذه المرأة الحسناء التي تتعرض

لطفيان وديكتاتورية خادمتهما .. يا لها من امرأة وديعة مسألة قال :

- تنظيف بمناسبة فصل الربيع ، هل هذا هو الوقت الذي تنظف فيه
المنازل عادة ؟

- لا .. ذلك يحدث عادة في شهر مارس ، ولكن نظراً لوجود ابنتي
في سويسرا ، فإن اديث انتهزت الفرصة كي تنظف المنزل .

- هل تفتقدين ابنتك ؟

- طبعاً .. طبعاً !

- اعتقد ان فتيات هذا الجيل لا يحرصن على البقاء في المنزل كثيراً
انهن مغرمات بأن يفعلن كل شيء كما يحلو لهن !
- اعتقد ان هذه المرضة في سبيلها إلى الاختفاء على اي حال .

- الجو جميل اليوم ، اليس كذلك .. هل تحبين أن تمش عبر الحديقة ؟
ام ان ذلك يتعبك ؟

- لا يتعبني قط ، فقد كنت على وشك الادلاء بنفس الاقتراح !
عبر الاثنان شارع فيكتوريا ، ثم هبطا دفقا سارا فيه حتى خرجا إلى
حديقة سانت جيمس .

نظر ريتشارد إلى تائيل أبستين ثم قال :

- هل تجدين اي جمال في هذه التائيل ؟ كيف يسمي بعض الناس
هذه الأشياء البشمة فنا ؟

- اوه .. من المؤكد انها فن !

- هل تعنين انك معجبة بهذه التائيل ؟

- لا .. انا ايضا احب الفن الكلاسيكي الذي يمرض الجسم الانساني
في وضوح ووقار وجمال ، ولكن ذلك لا يعنى ان ذوقى الخاص هو

الكلمة الأخيرة في الفن .. اعتقد انه يجب على الانسان ان يتعلم الا
يرفض المقاييس الجديدة في الفن .. للفن الحديث له قيمة الحديثة ، مثله
في ذلك مثل الموسيقى الحديثة !

صاح ريتشارد :

- الموسيقى الحديثة ؟ هل تسمين هذا الهوس موسيقى !

وقفت مس برنتيس في سيرها قائلة :

- مستر كولدفيلد ، ألا ترى أنك ضيق الأفق ..

نظر اليها بحدة ، فاحمر وجهها ، ولكنها استمرت تنظر اليه في ثبات .

- هل أنا ضيق الأفق حقاً ؟ ربما ولكن بالحقيقة إلي أشعر بصدمة

أمام كل شيء أراه فقد تغير كل شيء عما كان عليه قبل سفري
إلى إنجلترا .

ثم ابتسم وقال :

- إني أعتمد عليك في توجيهي وإرشادي ؟

ردت برنتيس بسرعة :

- أوه . أخشى إلي أيضاً « دقة قديمة » ، إن ابنتي تسخر من أرائي

كثيراً ، ولكنني أشعر أنه من الظلم ان يفتق الانسان عقله .. مع

تقدمه في السن ، من ناحية ، لأنه سوف يصبح شخصاً مزعجاً للمحيطين

به ، ومن ناحية أخرى ، لأنه قد يفقد الواناً من الجمال لا يعرفها .

سار ريتشارد بجوارها صامتاً لحظة ثم قال :

- أنا لا أوافقك في حديثك عن نفسك على أنك امرأة متقدمة في

السن ، أنت أصغر امرأة رأيته منذ فترة طويلة ، بل أنت أصغر بكثير

من فتيات هذا الجيل الصاخبات ، هؤلاء الفتيات يخفنني .
لم ترد برنتيس بشيء ، كانت الشمس دافئة والجو بديعا ، وكانت
تشمع بألفة عجيبة نحو هذا الشخص الغريب .
وقف الاثنان امام نافورة مياه وأخذا يرقبان الطيور المسائية وهي
تسبح في الماء بغبطة .

كان ريتشارد شخصا اليقا وديعا ، وتحدث الاثنان وضعكا ، وشعر كل
منها بأنه لا غنى له عن الآخر .

قال ريتشارد :

— بكل سرور !

ثم جلس الاثنان يتطلعا إلى النافورة وإلى الوان قوس قزح التي
تتخلل رذاذ الماء .

قالت برنتيس :

.. ما اجل لندن ؟

— نعم . . المرء لا يكتشف ذلك إلا إذا ابتعد عن الزحام والناس
وضجيج السيارات ، فقد كانت زوجتي تقول ان لندن هي المكان الوحيد
الذي يظهر فيه الربيع في أي صورة له . كانت تقول ان الزهور
والأشجار تبدو أكثر جمالا عندما تكون خلفيتها هي المباني والعمارات
بمكس الريف الذي يبدو فيسه كل شيء خليطاً من الخضرة
والألوان .

— أعتقد انها كانت على صواب .. أنا اراقبها على وجهة نظرها !

قال ريتشارد ، دون ان ينظر إلى آن :

.. لقد ماتت منذ زمن بعيد .

ردت بلطف :

... أعرف ذلك ، فقد أخبرني به الكولونيل جرانت ا

استدار ريتشارد ونظر اليها متفحصا ، وسألها :

— هل أخبرك كيف ماتت ؟

ترددت مسز برنتيس لحظة ، ثم قالت :

— نعم .

تمهد ريتشارد وقال :

... لا أعتقد إني سوف أنسى ذلك قط . . انا اتصور دائما اني السبب

في موتها ا

ردت مسز برنتيس :

— انا أفهم شعورك ، ولو كنت مكانك لشعرت بنفس الشيء ، ولكنه

شعور خطأ طبيعا ، اليس كذلك ؟

... لا . . ليس شعور خطأ .

... إني احدثك من وجهة نظري كإمرأة . . كل امرأة تحب ان

تحمل ، وان قد مها كانت الخطورة التي تتعرض لها . . كل امرأة تشعر

بأنها لا تصبح كاملة إلا اذا صارت أمسا . . الم تكن زوجتك ترغب

في الطفل ؟

— أوه . . نعم ، فقد كانت سعيدة بحملها كثيرا ، وانا ايضا . .

كانت امرأة سليمة النية ، ولم يكن هنسالك مجال للتفكير في ان اي

شيء قد يحدث ؟
حلت فارة صمت .

قالت بعدها برنتيس باخلاص :

- انا اسفة من اعماقي ا

قال ريتشارد :

- لقد حدث ذلك كله منذ زمن بعيد .

- لقد مات الطفل ايضا ، اليس كذلك ؟

- نعم . . الحق اني اكاد اشعر بالامتنان لوفساته . . لو انه
عاش لكرهته . . حكنت اقصور دائما ان امه دفعت حياتها ثمننا
لحياته ا

ردت ممز برنتيس :

- حدثني عن زوجتك ا

شرح ريتشارد يخبرها عن زوجته ايلين . .

حدثها عن جمالها ومرحها ، ثم عن لوبات الصمت التي كانت تعاودها
لعبارة . .

ثم توقف ريتشارد عن الحديث وقال :

- اني لم احدث عن زوجتي الى احد من قبل .

- استمر . . لا تتوقف ا

قنهد ريتشارد وعاد الى الحديث عن زوجته :

لقد كان كل شيء خاطفا . . تقابلا ونحبا وتزوجا وامضيا شهر العسل

في فرنسا ، يتجولان بين روعها بالسيارة ا

قال : لقد كانت دائما عصبية وهي في السيارة .. كانت تتعلق بي
كأنها تخشى ان تسقط من السيارة ، وأنا لا افهم لأن سر عصبيتها ،
لأنها لم تتمرح من قبل لأي حادث ..

ولكن هذه الذكريات كانت تعاودني دائما وأنا في بورما ، كنت
احس بلمس يديها تشبثان بي وأنا أقود سيارتي في غابات بورما ..
كنت أشعر دائما .. بأنه (غير معقول) ، أن إيلين اختفت من
الحياة ..

غير معقول .. نعم هذا هو الشعور ؟
هذا ما شعرت به برنتيس بعد وفاة باوبك . غير معقول إنه
اختفى من الحياة .. لا بد أنه في مكان ما .

لا بد أنه قادر على أن يشعرها بوجوده بطريقة ما .. غير معقول
أن يختفي ولا يترك شيئا .. ما أبشع ذلك الحاجز الغامض بين الأحياء
والأموات .

كان ريتشارد ما يزال يتحدث عن حياته الأولى ، كان يصف المنزل
الذي اختاره عشاً له ولزوجته وسط حديقة مليئة بأشجار الخوخ ،
وشجيرات الليمون .

قال ريتشارد في النهاية :

- لا أدري حقاً لماذا أخبرك بكل هذا ا

ولكنه في الحقيقة كنت يدري .. كان يشعر بأن صورة إيلين
الراحلة بدأت تضيع في وجدانه لتظهر مكانها صورة الانسان الوديع
الجميلة ..

صورة مسز برنتيس ٢٢

كان يشعر بأنه سوف يترك ذكرى إبلين يجوار هذه النافورة ، وهذه الطيور ، وهذه الأشجار ، وهذه الشمس الحانية .

وكان يشعر بأن هذه هي اخر مرة يعيدها فيها إلى الحياة بحديثه عنها ..

لقد كان حديثه عنها إلى برنتيس هو (صلاة الوداع) لروح الزوجة الراحلة ..

ترك ريتشارد كل ذلك خلفه في الحديقة ، ثم سار مع آن يقتصمان شوارع لندن الصاخبة ا

اقصص الرابع

الحب

- ١ -

هل مسز برنتيس موجودة ؟

سألت لورا ويتستابل هذا السؤال وهي تقف أمام باب المنزل ..

أجابتها أدبيث التي فتحت لها الباب :

- ليست موجودة الآن ، ولكنني أعتقد إنها لن تفيب طويلاً ، هل
تجيبين أن تتفضلي بالدخول لانتظارهما ؟ أنا أحرف أنها سوف تسعد
كثيراً برؤياك .

ثم فتحت أدبيث جانباً ، فدخلت لورا وهو تقول :

- سوف انتظرها ربع ساعة لا أكثر ، فقد مضت أيام كثيرة لم
أرها فيها .

نظرت لورا حولها وقالت :

- أرى أنكم غيرتم أماكن الأثاث ، كان المكتب من قبل في هذا الركن ، وكانت الكنبة في مكان آخر .

ردت الوصيصة باحترام :

- لقد فكرت مسز برنتيس أن المكان يبدو أفضل بعد هذا التغيير ، بنفسها ، فقد فاجأتني بهذا التغيير قسالة : « أديث » ألا تمتقدين انت الغرفة تبدو أكثر جمالاً الآن ؟ وأكثر اتساعاً ايضاً ؟ في الحقيقة لم أوافقها على رأيها ، ولكني لم أصرح لها بذلك حتى الآن كي لا احرج مشاعرها ، السيدات هن نزوات أحياناً ، واكتفيت بأن قلت لها : يجب ألا تهفي نفسك يا سيدتي حتى لا تصابي بانزلاق غضروفي أو كسور في ضلوعك وتندمين بعد فوات الأوان وتفضين بقية عمرك عاجزة عن الحركة . أنا اعرف ذلك جيداً ، لأن اخت زوجي اصببت بانزلاق غضروفي وهي ترفع مزلاج النوافذ ، ومن يومها وهي لم تفادر الفراش حتى الآن !

قالت لورا :

- بدون داع في الأغلب . . من حسن الحظ ان الأطباء لم يعودوا يصفون ملازمة الفراش علاجاً لكل مرض .
- إنهم حتى لا يتركون المرأة ترقد شهراً بعد ولادتها ، فقد الزموا ابنة أختي بمقادرة الفراش بعد ولادتها بخمسة أيام .

قالت لورا ضاحكة :

- إن جيلنا يا عزيزتي أكثر صلابه من نساء هذا الجيل .

- هذا حق ياسيدي ، فقد تعرضت لأمراض كثيرة في طفولتي ،
ولكنني تغلبت عليها جميعاً .. كنت أصاب بنوبات أخمء ولوبات تشنج ،
وفي الشتاء ، كان لولي يصبح أزرق تماماً ، وكان الهواء يملأ قلبي
ويصفر فيه .

ولكن لورالم تهتم بتاريخ ادبتي الصحي ..

قالت مشيرة إلى آلات الغرفة :

- اعتقد ان مسز برفتييس مصيبة في هذا التغيير ، من المؤسف أنها لم
تقم به منذ زمن .

ردت الوصيفة بلمجة ذات مغزى :

- قليلاً قليلاً بيني المصفور عشه ا

نظرت اليها لورا في دهشة قائمة :

- ماذا ؟ هل تعنين ؟

اومات الوصيفة برأسها باسمه قائلة :

- نعم ..

- أوه ؟

تبادلت المرائان نظرة فهم ..

ثم سألت لورا :

- هل رأيت الكولوفيل جرانتي مؤخراً ؟

- لا ..

ثم اضافت بلمجة من يرثي ميئاً :

- كان رجلاً لطيفاً .

ومرة أخرى قالت لورا :

- أوه ؟

قالت الوصيعة وهي تغادر الغرفة :

.. أنا اعرف شخصاً لن يعجبه تغيير الأثاث ، ابنتها .. إنها تكره

التغيير ؟

* * *

تناولت لورا كتاباً أخذت تصفحه ، وما هي إلا دقائق حتى سمعت صوت المفتاح يدور في ثقب الباب الخارجي ، ثم سمعت صوت الباب يفتح وترامى إليها صوت شخصين يتحدثان في مرح ..

صوت آن برنتيس وصوت رجل .

كانت برنتيس تقول :

- ها هو خطاب من ابنتي سارة .

ثم دخلت الغرفة وفي يدها الخطاب ، وخلفتها ريتشارد كولدفيلد . فوجئت برنتيس برؤية ضيقتها ، فارتبكت لحظة ، ثم تماكنت نفسها وصاحت :

- لورا ، يا لها من مفاجأة رائعة .. هذا هو مستر ريتشارد كولدفيلد

وهذه هي السيدة ويتستايل .

نظرت لورا إلى الرجل بامعان ، وحدثت معاملة في ذهنها بسرعة .. شخص من الطراز العادي ، عنيد ، أمين ، طيب القلب ، عديم الاحساس

جاد ، حساس ، وواقع في خرام برنتيس ..
ثم بدأت تتحدث اليه بصوتها العميق ا
قالت برنتيس :

- سوف أطلب من أدبث أن يحضر لنا الشاي ..
صاحت لورا :

- لن أشارككما الشاي يا عزيزتي ، انها الساعة السادسة تقريبا

توقفت برنتيس لحظة ، ثم أكلت :

- سوف أشرب الشاي مع ريتشارد إذا ، فقد كنا في حفلة موسيقية ،

ماذا تشيرين ؟

- براندي مع الصودا ا

- حسناً ..

ثم غادرت الفرقة ا

سألت لورا ريتشارد :

- هل أنت مخرم بالموسيقى يا مستر كولدفيلد ؟

- نعم ، وخصوصاً موسيقى بيتهوفن .

- جميع الانجليز يحبون بيتهوفن ، إن موسيقاه تبعث النعاس إلى جفوني

أنا أسفة لهذا الرأي ولكني لا احب هذه الموسيقى ا

قدم لها ريتشارد علبة سيجاره قائلاً :

- سيجارة يا مدام ؟

ولكنها رفضت قائلة :

- شكراً .. أنا لا أشرب السجاقر .

ثم نظرت اليه بحدة وسألته :
.. إذن أنت من ذلك النوع من الأشخاص الذين يفضلون أن يشربوا
الشاي بدلاً من الشيري في السادسة مساءً ؟

-- ليس بالضبط .. إلي غير مغرم بشرب الشاي . ولكن يبدو أن
آن تحب الشاي ، وأنا أشاركها ذلك الشعور ، أرجو ألا تجدي هذا
الكلام مضحكاً !

-- على العكس . الواقع أن برنتيس من ذلك النوع من النساء ، تبدو
في أحسن حالاتها وهي جالسة خلف صينية شاي فضية عليها فناجين
صينية لامعة مليئة بالرؤوم البديمة ؟

قال ريتشارد في سرور :

-- ما أشد صواب رأيك !

-- أنا أعرفها منذ سنوات بعيدة ، وأنا أحبها كثيراً .

-- حدثني برنتيس عنك كثيراً ، وسمعت عنك الكثير من قبل بالطبع !

ابتسمت لورا واجابت :

-- نعم ، أنا واحدة من اللاتي يحضرن الاجتماعات العامة واللاتي يدلين
بآرائهن في الاذاعة ، ولكنني خرجت من تجاربي بشيء هو انه مهما حقق المرء
في الحياة ، فإن هذا الذي حققه ضئيل جداً ، وكان يمكن أن يحققه غيره .

احتج ريتشارد :

-- هذا رأي متشائم يا سيدتي ، اليس كذلك ؟

-- إذن أنت لا توافقني على هذا الرأي ؟

-- مع الأسف لا .. أعتقد أنه إذا أراد أي شخص أن يحقق شيئاً

في هذه الحياة ، فإن أول ما عليه هو ان يؤمن بنفسه .
- لماذا ؟ قد اكون طراز قديم ، ولكني افضل ان يعرف الانسان
نفسه ويؤمن بالله .

قال ريتشارد في حيرة :

- يؤمن ؟ يعرف ؟ اليس شيئاً واحداً ؟
هزت المرأة رأسها وقالت :
- لا .. ليس نفس الشيء ، انا اؤمن بنظرية انه يجب على الانسان ان
يمضي شهراً من حياته كل عام في صحراء بعيداً عن الناس جميعاً .

قال ريتشارد باسمياً :

- هذه نظرية ظريفة ، بشرط طبعاً ان تكون مجموعة من الكتب تملأ
وقت فراغه ا

هتفت لورا :

- لا .. لا ا هذا هو لب النظرية ، الابتعاد عن الكتب ، الابتعاد
عن المعرفة الجاهزة ، يكفي ان يكون معه زاد وماء ثم لا شيء ..
لا شيء على الاطلاق : لا كتب ، لا زاد ، لا جرائد ، لا شيء إلا
الانسان ونفسه .. ذلك يساعد الانسان على ان يقترب إلى نفسه ، ان
يتعرف عليها .

- الا تعتقد ان كل انسان يعرف نفسه ؟

هزت لورا رأسها في عناد وردت :

- بكل تأكيد لا ، الانسان لا يملك الوقت اللازم لنفسه ، إن ضغط
المدنية الحديثة يفرض على الانسان ان يعرف ما يجنيه في نفسه .

وفي هذه اللحظة دخلت برنتيس باسمه وهي تحمل زجاجة في يدها قائلة :

- ها هو البراندي مع الصودا يا عزيزتي . وسوف تحضر الوصيفة الشاي .. فم كئنا تتحدثان ؟
- لقد كنت اشرح له نظرياتي الصعراوية .

ردت برنتيس ضاحكة :

- اوه .. اعرف نيتك يا عزيزتي كيف يعيش الانسان وحيداً في الصحراء حتى يكتشف مدى بشاعة نفسه ا
قال ريتشارد جهاداً :

- هل كل انسان يحوي نفساً بشعة ؟ أنا اعرف ان علماء النفس يؤكدون ذلك ، ولكن لماذا بحق السماء ؟

اجابت لورا على الفور :

- لأن الانسان إذا عرف جانباً من نفسه فإنه سوف يحرص على أن يعرف الجانب الحسن فقط .
قالت برنتيس :

- كل هذا محمول يا عزيزتي ، وإنما على فرض تحقيق نظريتك ، ماذا يحدث بعد أن يعيش الانسان في الصحراء ويكتشف بشاعة نفسه ؟ ماذا يفعل ؟ هل يستطيع ان يغير نفسه ؟

- لا .. ليس من السهل ان يغير الانسان نفسه ، وإنما المعرفة تعطيه على الأقل المرشد إلى ما قد يحدث منه وله في حالات معينة وتجعله يعرف ، وهذا هو الأهم ، لماذا يتصرف كما يتصرف ا

- انا اتصور ان الانسان يستطيع أن يعلم ماذا يفعل في اي حالة معينة ، يكفي ان يتخيل نفسه في هذه الحالة ..

- لا يا عزيزتي آن .. تخيلي مثلا ذلك الشخص الذي يتمرن على ما سيقله إلى رئيسه في العمل او خطيبته او حتى جساره .. إنه يرقب الكلام جيداً ويحفظه ، ولكن عندما تأتي لحظة التنفيذ ، إذ به إما ان يجد لسانه معقوداً ، وإما ان يقول كلاماً مختلفاً تماماً عما رقبه ، إن الناس الذين يؤمنون تماماً بأنهم قادرون على التصرف الحكيم ، امام ازمة م على التعهديد الناس الذين يفقدون روعهم امام هذه الأزمات ، بينما الذين يشعرون بأنهم عاجزون عن مجابهة المواقف يدهشون الناس ، ويدهشون انفسهم ، بامتلاكهم ناصية الموقف تماماً ..

- ما تقولينه الآن معقول تماماً .. انت تعنين إن الناس يتمرنون على محادثات وتصرفات خيالية .. كما يحبون ان تكون هذه المواقف ، ولكني ايضا اعتقد إن الانسان يعلم جيداً نفسه وكل امكانياته .

قالت لورا في اشفاق :

- يا طفلي العزيزة ، هل تعتقدين مثلا انك تعرفين آن برنتيس ؟

اجابتها باسمه :

- نعم .. اعتقد إنني اعلم إنني لست انسانة لطيفة عموماً

وفي هذه اللحظة دخلت الخادمة ، وهي تحمل صينية الشاي .

قالت ادبيث :

- ها هو خطاب سارة يا سيدتي ، فقد نسيته في غرفة النوم ا

- اوه .. شكراً ا

خرجت ادبث ، ورضعت برنتيس الخطاب على المنضدة دون ان
تفتحه ..
اما ريتشارد كولدفيك فإنه شرب فنجان الشاي بسرعة ثم استأذن
في الانصراف ا

- ٢ -

تمت برنتيس بعد خروج ريتشارد :
- إنه إنسان لبق ، فقد انصرف كي يمنحنا الفرصة للحديث .
ولكن لورا لم ترد عليها فوراً ، كانت تنظر اليها بامعان ، وتماين في
دهشة ذلك التغيير الرائع الذي ألم بصديقتها .
كانت ملامح آن الرضية الوادعة قد تحولت إلى جمال ساحر . فقد
عرفت لورا ذلك التغيير في نساء اخريات ، وكانت تفهم مغزاه . هذه
النظرات السعيدة ، هذا الاشعاع البديع .. انه الحب ا
امسا الرجال ، فإنهم يصابون باكتئاب يجعلهم يبدوون مثل الخراف
الضالة ..

وسالت صديقتها اخيراً :
- ماذا كنت تفعلين بنفسك في هذه الفترة يا عزيزتي ؟
- اوه .. لا شيء خاص ا
- إن ريتشارد كولدفيك صديق جديد .. اليس كذلك .

- نعم .. فقد عرفته منذ عشرة ايام فقط ، قابلته اول مرة في عشاء
جيمس جرانت ، انه يمجبك يا لورا ، اليس كذلك ؟
ردت لورا مجاملة :

- يمجبني كثيراً !

- ان حياته السابقة كانت حياة حزينة !

وقمت لورا مفيرة الحديث :

- ما هي اخبار ابنتك ؟

- اوه .. انها تقضي وقتاً رائماً .. الشاح يدببع ، ولم يصب احد بجراح
حتى الآن !

- هذا شيء يثير حزن اديث فيما اعتقد ..

وضحكت الصديقتان ..

- هذا الخطاب من ابنتي .. هل تسمحين لي بقراءته ؟

- طبعاً يا عزيزتي

فتحت برنيس الخطاب وقراءته ، ثم ضحكت بمودة وأعطت الخطاب

لصديقتها ، فقراءته ..

« ماما الحبيبة ..

الثلج مدهش هنا . الجميع يقولون ان هذا هو احسن موسم الزلاقي

عرفته سويسرا .. روجر لطيف جداً معي .. وصديقتي لو تمتد أنه

يحبني ، ولكني أعتقد أن هذه ميول عادية منها ، لأنها تسعد عندما

تراني أسقط فوق الثلوج .

قابلت هنا الليدي كروتشام ، ومعها ذلك الرجل المزعج من جنوب

أمريكا أشعر بميل نحو أحد المدربين ، ولكن من المؤسف أنه لم يتجاوب
لأنه متعود على أن تشمر الفتيات بميل نحوه أثناء تدريبه هن ..
لقد تعلمت أخيراً أن أرقص الفالس فوق الثلوج .. ما هي أحوالك
يا ماما العزيزة ؟ أرجو ان تتمتعى بوقتك مع كل أصدقائك .
كيف حال صديقك المبهوز كولونيل جرافت ..
إلى اللقاء قريباً .

ابتنتك المحبة
سارة

أعادت لورا الخطاب إلى برنتيس ، ثم قالت :
- نعم .. يبدو أن ابنتك تنعم بوقتها جيداً .. وأنت ؟
كانت برنتيس تفرك يديها في عصبية ..
وأخيراً قالت :
- أعتقد أنني يجب أن أخبرك يا لورا .. ريتشارد كولدفيلد عرض
علي الزواج .
سألته لورا :
- متى حدث هذا ؟
- اليوم فقط ..
- وهل وافقت ؟
- أعتقد ذلك .. أوه ، لماذا أقول هذا ؟ فقد وافقت طبعاً !
- اليس هذا قراراً سريعاً جداً ؟

- تعذرين انني لم أعرف ريتشارد مدة كافية ؟ حسناً ، ولكن كلانا واثق من مشاعره نحو الآخر .

- وانت تعرفين الكثير عنه من خلال الكولونيل جرانت ، أنا سعيدة من احلك يا عزيزتي ، تقبلي تهاني الخاصة
ضحكت برقتيس بعصبية وتمتمت :

- ان الأمر يبدو لك صبيانياً ، غير اني في الحقيقة مغرمة كثيراً به ا

- لماذا يبدو صبيانياً ؟ هل يجبك هو إلى هذه الدرجة ؟

- أكثر ..

- الحق ان هذا يبدو واضحاً عليه .. نعم إنه يبدو كالخروف

الضال تماماً .

- ريتشارد يبدو مثل الخروف ؟ ما هذا الكلام ؟

- يا عزيزتي .. كل عاشق يبدو مثل الخروف .. هذا قانون

الطبيعية

- إننا يمجيبك يا عزيزتي ، اليس كذلك ؟

أجابت لورا ببطء :

- إنه شخص بسيط جداً يا آن ا

- بسيط ؟ ربما .. ولكن اليس هذا أفضل ؟

- وهو حساس ايضاً .. حساس جداً ا

- ما أفكاك يا لورا .. نعم هو حساس حقاً .

سألته لورا :

- هل اخبرت سارة ؟

- ليس بعد بالطبع . فقد اخبرتك ان عرض الزواج حدث
اليوم فقط ..

- اعرف هذا ، وانما اسالك عما اذا كنت قد حدثت ابنتك عنه في
خطابتك ؟ مهدي الطريق ؟
- لا .. سوف اكتب لها واخبرها .

ووردت لحظة قبل أن تقول :

- لا اعتقد أن سارة سوف تمانع في الزواج ، اليس كذلك ؟

- هذا شيء لا يمكن التنبؤ به !

اجابت برنتيس فيما يشبه الحلم :

- إن سارة تحبني كثيراً ، وتحب سمادتي ، وهي شابة لطيفة ،
اعتقد .. اعتقد إنها سوف تجد الأمر كله مضحكاً !

- مقول كثيراً .. هل يضايك هذا ؟

- لا يضايقني .. وانما سيضايق ريتشارد بالتأكيد .

- من أجل هذا افضل ان تعلم ابنتك الخبر السعيد قبل عودتها من
سويسرا ، بذلك يكون لديها الوقت الذي يحملها تتعود على هذا التغيير
الجديد .. هل حددت موعداً للزواج ؟

- ريتشارد يريد ان فتزوج بأمرع ما يمكن ، وفي الحقيقة ، فانا ايضا

لا ارى داعياً للانتظار .

- نعم .. كلما بادرنا بالزواج كان ذلك افضل .

ابتسمت برنتيس في سرور واجابت :

- اللروف تسير في صالحنا ، فقد حصل ريتشارد على وظيفة في شركة

(. اخوان هيلز)

- هذا بديع ..

ثم قامت وقبلت برنتيس مهنئة ، نظرت اليها قائلة :

- والآن ما معنى هذا العبوس المفاجيء ..

- إني افكر في ابنتي ، أرجو ألا تستاء من زواجي .

-- يا عزيزتي برنتيس ، حياة من تحبين ؟ حياتك أم حياة ابنتك ؟

-- حياتي طبعاً ، وإنما ..

قاطعتها لورا قائلة :

- اذا استاءت ابنتك دعها تستاء ، ستتغلب على استياءها سريعاً ..

انها تحبك .

-- هي تحبني .

-- وهذا شيء بؤسك ، حرصك على مشاعرهما ، نعم .. لا شيء يؤلم

مثل الحب .. وكلما زاد عدد الأشخاص الذين يحبونك كلما ازدادت

الامك ، من حسن الحظ انه ليس في حياتي من يحبني ، معظم الناس

يكروهوني والباقيون لا يهتمون بي .

قالت برنتيس محتجة :

-- لورا .. هذا غير صحيح ..

. وداعاً يا عزيزتي .. وأرجوك ألا ترغمي عزيزك ريتشارد على ان

يقول انه يحبني ، انا اشعر مقدماً انه لم يرتح لي .. واطمئني فذاك لا

لا يزعجني قط ..

* * *

وفي المساء كانت لورا تجلس مع صديق لها في احد المطاعم ، وكان
الصديق يتحدث في حماس عندما لاحظ فجأة شرودهما .
سألها :

- ما الذي يزعجك يا لورا ؟
- أوه .. كنت أفكر في أم وابنتها ..
- أم طاغية ؟
- بل بنت طاغية ..

الفصل الخامس

سارة

- ١ -

قال البروفيسور جودفري فين :

- حسنا يا عزيزتي برنتيس .. طبعاً انا ارجوك ان تقبلي نهائي ، او اي شيء يقوله الناس في هذه المناسبات ، ان خطيبك رجل سعيد الحظ جداً بك .. نعم سعيد الحظ كثيراً ، انا لم اقابله بعد ، او هل قابلته ؟
أخشى اني لا اذكر اسمه .. هل هو صديق قديم لك ؟
- لا .. فقد قابلته منذ ايام معدودة .

نظر اليها البروفيسور من فوق نظاراته وكأنه ينظر الى عينة علمية في المعمل ثم قال :

- أيام معدودات ، اليس قراركما الزواج اذا قراراً سريعاً ؟ قراراً
اهوج ؟

ردت برنتيس في ثقة :

- لا .. لا اعتقد هذا ؟

- الزواج في قبائل « المانا وإيالا » ، لا يتم الا بعد خطوبة سنة او
سنة ونصف .

قالت برنتيس ضاحكة :

- لا بد إذا أنها قبائل حلرة جداً ، كنت أعتقد أن المتوحشين
يتصرفون تبعاً لأهوائهم السريعة .

صاح البروفيسور في ذعر :

- « المانا وإيالا » قبائل متوحشة ؟ هذا خطأ . خطأ فاحش ، إن لهم
مدنية واضحة أصيلة ، إن طقوس الزواج عندهم معقدة للغاية ، هل تعرفين
ماذا يحدث للمروس ليلة الزفاف ؟ ولكن دعينا من هذا . هذا شيء لا
أستطيع أن أناقشه مع سيدة ، ولكنها في الواقع طقوس غريبة جداً
ويبدو أنها بدأت عندما تزوجت الأميرة .. ولكن دعينا من هذا ، في
الحق لا يجوز أن أناقش هذه التفاصيل معك ، فيها نتكلم إذا .. اه ..
هدية الزواج ، ما هي الهدية التي تحبين أن أقدمها لك بمناسبة الزواج
يا عزيزتي ؟

.. ليس هناك أي داع لأن تقدم لي أي هدية يا عزيزتي جودفري

هز البروفيسور رأسه في عناد وقال :

- لا لا . لا بد اما هي الهدية المعتادة ؟ تحفة فضية ؟ أم

لعلها طعم ملاحق ؟ أو جهاز لتسخين الخبز ؟ اه . نعم .. إناه للزهور ،
ولكن بحق السماء يا برنتيس قولي انك تعرفين شيئاً عن هذا الزواج ،
أو أن لكنا معارف مشتركين ، كثيراً ما نقرأ حوادث مؤلمة تنجم عن
مثل هذا الزواج .

- تأكد انه لم يلتقني من الرصيف ، وإلي لم اؤمن على حياتي
لصالحه ا

نظر اليها جودفري فين في ذعر ، ولكنه اطمأن عندما رآها
تضحك وقال :

- حسناً .. ربما ازعجتك بقلبي ، انما على الانسان أن يحتاط دائماً
ما هو رأي ابنتك الصغيرة بهذا الزواج ؟

اكفهر وجه برنتيس لحظة .. اجابت بعمدا ببطء :

- لقد كتبت خطاباً إلى سارة في سويسرا ، ولكنني لم اذلق رداً منها
بعد ، لم يمر وقت طويل طبعاً ، وإن كنت توقعت ..
ولم تكلم برنتيس الجملة ..

قال البروفيسور الذاهل :

- من الصعب كثيراً أن يتذكر الانسان ان يرد الخطابات التي ترد
اليه ، فقد دعيت مرة إلى القاء محاضرات في جامعة اوسلو ، وكان في
نيقي أن اوافق ، وأن ارد عليهم بموافقي ، ولكنني نسيت كل شيء حتى
عثرت على هذه الدعوة في جيب معطف قديم ا

قالت برنتيس في اسفاق :

- ما هو موعد المحاضرات ؟

في مارس ..

- حسنا ، ما يزال هناك وقت حتى يحل مارس .

- مارس الماضي يا عزيزتي !

ضحكت برنتيس قائلة :

- يا إلهي .. ولكن يا عزيزي جودفري ، كيف يبقى الخطاب في

جيب معطف طوال هذه المدة ؟

- لقد كان معطفا قديما .. كان احد اكمامه قد تمزق ، ولم يعد بإمكانه

الظهور به امام الناس فوضعتُه جانبا وبه الخطاب

- يجب ان يعثني بشؤونك احد يا جودفري .

هز رأسه وقال :

- لا انا أفضل الا يتم أحد بشؤني .. كان عندي في وقت من

الأوقات مديرة منزل قديرة ، وكانت طباحة ممتازة ايضا ، ولكنها

كانت تجمع اوراقي ، وتلقي بها في المدفأة بحجة النظافة ، إن النساء

يقدمن على النظافة وكأنها لون من العبادة .

- هناك من يقولون ان النظافة عبادة فعلا .

تنهد البروفيسور بدون مناسبة ، ثم قال :

- حسنا . سوف اوركك الان يا عزيزتي آن .. ولكنني سوف

الفتقدك كثيراً .

ردت باسمة :

- ولكنني ان اضيغ يا جودفري .. اني لن اغادر لندن ، فقد

حصل ريتشارد على وظيفة في لندن ، وسوف يبقى هنا ، انا واثثة أنك

ستمعجب بريتشارد .

تنهد البروفيسور مرة ثانية وقال :

- ربما .. ولكن الأمر لن يكون كما كان سابقاً ، عندما تزوج امرأة جميلة من رجل آخر ؟

توقف جودفري عن الكلام ، ثم ضغط يدها بجرارة قائلاً :

- لقد كنت تمنين الكثير لي يا آن ، فقد جرؤت على أن أمل .. ولكن لا .. لا .. لم يكن هذا ممكناً مع عبوز مذهبك مثلي كان ذلك يصيبك بالملل .. ولكني اقدرك جداً يا برنتيس وأتمنى لك السعادة من أمماتي قلبي ، هل تعلمين بماذا تذكريني دائماً ؟ بتلك الأبيات الرائعة من شعر هوميروس ..

ثم شرع يتلو لها الأبيات المختارة ، وفي النهاية ابتسم في طفولة وقال :

- هكذا ..

- أشكرك يا جودفري ، ولكني لا أفهم معنى هذه الأبيات ..

قال في حاس :

.. إنها تعني ..

ولكنها قاطعته :

.. لا .. لا تشرح لي .. إنها تبدو رائعة بدون معنى ، وداعساً يا

جودفري العزيز ، وشكراً لك ! لا تلمس قلبك ، هذه ليست مظلتك

إنها مطلقاً ؟



ودعت برنتيس ضيفها حق الباب ، ثم أغلقت الباب خلفه وعادت لتجد اديت تطل عليها من باب المطبخ قائلة .

- إنه وديع كطفل ، اليس كذلك ؟ كما إنه بارع في دراساته ، إنما لماذا يتم بهذه القبائل المتوحشة ذات العادات القذرة ؟ إنه شخص لطيف وليس عجوزاً أيضاً .

أجابت برنتيس :

- إنه في الخامسة والأربعين .

- ألم أقل لك ؟ إنها كثرة القرامة وسوء التقذية التي تجمله يبدو بهذا المظهر المحزن ، لقد فقد ابن اخي شعر رأسه كله عندما أصيب بالحمى ، وإنما الشعر نما بعد فترة ، ها هما خطابان لك .

تناولت برنتيس الخطابين ثم قالت :

- أديت .. هذا هو الخطاب الذي أرسلته لاديتي .. لماذا أعادوه لي بدون تسليمه اليها ؟ أوه .. ما أغباني ، فقد كتبت العنوان ، وإنما نسيت ان اكتب اسم ساره ، ماذا جرى لي ؟

- أنا أعرف ماذا جرى لك ؟

- اني أصبحت أقصرف بنفباء شديد .. الخطاب الآخر من لورا ويتستايل .. أوه ما الطفها .. سوف أكلها تليفونيا .

ورفعت الساعة وطلبت صديقتها :

- الو ؟ لقد استلمت خطابك الآن ا هذا لطيف جداً منك يا عزيزتي ا نعم .. سيسعدني كثيراً أن أحصل على لوحة بريشة بيكاسو ، طالما حصلت بأن امتلك واحدة لبيكاسو ، سأضعها أمام مكنتي مباشرة .. أوه .. يا

عزيزتي .. فقد كنت حقا كثيرا . تصوري اني كتبت خطابا لسارة
ذكرت لها فيه كل شيء عن الزواج ، ولكن الخطاب عسادي ، لاني
كتبت العنوان ونسيت ان اكتب اسم سارة ، تصوري مدى غبائي ..

جاءها صوت صديقتها العميق :

... معقول جداً ..

... ماذا تعنين بقولك معقول ؟

... اعني ما قلته تماما .

... انا افهم افكارك من نغيات صوتك .. انت تفكرين في شيء نفسي
لتصورين اني نسيت ان اكتب اسم سارة ، لأن عقلي الباطن لم يرد أن
يصل الخطاب اليها ، هذه نظريتك في تفسير جميع الأخطاء .

... ليست نظريتي أنا ..

... هل أي حال فهذا غير صحيح ، ماذا افعل الآن وسارة ستعود إلى
المزحل بمدغد دون ان تعلم شيء عن اعترامي الزواج ، فساضطر أن أشرح
لها كل شيء دفعة واحدة ، فأشعر بمرح شديد .. في الواقع لا ادري كيف
أبدأ ؟

... انت التي اوجدت نفسك في هذا الموقف لأنك لم تريدي ان تستلم
ابنتك الخطاب !

قالت برنتيس في عصبية :

... كل إنسان معرض للنسيان يا لورا ، فقد كان عندي الآن جودفري
فين وأخبرني انه نسي دعوة لالقاء محاضرات في جيب معطفه اكثر من عام
هل تزعمين انه ايضا أراد ان ينسى هذه المحاضرات ؟

لم ترد لورا ، ولكنها ضحكت ضحكة طويلة ..

ثم سألتها :

- هل كان يريد ان يلقي هذه المحاضرات ؟

... طبعاً ..

ضحكت مرة ثانية قائلة :

- ممقول ..

- ٢ -

كان ريتشارد كولدفيك يعيش أحلى أيام حياته ا
كان يشعر بأنه رجل سعيد ، وكان يرى ان حساباته كانت عرضة
لهذات عديدة قد استقرت أخيراً إلى مرفأ هادىء أمين .

كان قد استوعب مهام وظيفته الجديدة ، وكانت صداقته القديمة
بيريك هيلنر اصحاب شركة (اخوان هيلنر) قد أثبتت أنها صداقة
راسخة .

أما العمل نفسه فقد كان عملاً قنيا يعتمد على خبرته بالحياة في بورما
والشرق الأقصى .

لم يكن ريتشارد كولدفيك ثابتة ، ولكنه كان مخلصاً دؤوباً ،
ومحباً للعمل .

وكانت مشاعره الأولى بالوحدة والافتراق التي صاحبتة إلى المجلة
قد اختلفت .

كان يشعر بأنه ليس في الامكان ابداع ما هو كائن ، وظيفة مريجة
مريجة ، رئيس عمل صديق ، ومستقبل تحمل صدارته المرأة التي يجيها
والتي ينوي ان يتزوجها .

والواقع أنه كان يتساءل عما يجعل هذه المرأة الجميلة الوديمة الجذابة
تقع في حبه .. كان يكتشف في بعض الأحيان انها تنظر اليه وعلى
شفتيها ابتسامة مأكرة ، ولم تسخر منه آن قط ، بل انه مع الوقت
تعود على هذه الابتسامة ، وتعلم أن يتمتع بها كما يتمتع بكل ما يصدر
من عزيزته برنتيس ا

قال لها ذات مرة :

- انت طيبة جداً ممي يا آن .. اذك تجعليني أكثر انسانية .

وردت عليه في الحال :

- كل منا يناسب الآخر يا ريتشارد ا

- ليس عندي الكثير لأقدمه اليك فيما عدا حي واهتمامي بك الى

آخر لحظة من عمري ا

واجابت باسمه :

- لا تهتم كثيراً يا ريتشارد .. لا تشجع نقاط ضعفي .

قال في دهشة :

- نقاط ضعفك ؟ ليس بك أي نقطة ضعف .

- لا تجاملني .. الي أعرف لواحي الضعف في نفسي ، اعلم اني احب

أن يحاملني الآخرون ، اعلم اني لا أحب أن اجامل الآخرين على حسابي ،
مشاعري ، اعلم اني لا احب المشاحنات ولا النفاق ؟

قال في ارتياح ،

- حمد الله . . اني أكره ان اتزوج امرأة مشاكسة لا تكف عن النفاق ،
لقد رأيت نساء من هذا النوع ، ان اشد ما يجذبني اليك هو طبيعتك
الجميلة الهادئة ، يا اعز الناس سوف نكون سعداء للغاية معا ا

قالت في اخلاص :

-- نعم . . سنكون سعداء معا .

وكانت برنتيس تلاحظ ان ريتشارد قد تغير كثيرا مما عرفتة ، لم
يعد في حالة دفاع عن نفسه ضد الشعور بالاغتراب والشعور بالوحسدة ،
فقد اصبح - كما قال - اكثر انسانية واكثر ثقة في نفسه واكثر قدرة
على التصديق .



سار ريتشارد في الشارع وهو يصفر لحنا (قديما) مرحا .
ثم دلف الى محسب للزهور وخرج منه وهو يحمل باقة جميلة من
الزهور ا
وصل الى منزل آن ، ثم صعد الى الطابق الثالث حيث توجد شقة
برنتيس .
دق جرس الباب وفتحت له اديث ، وفي الحال سمع صوت ان تصيح

من داخل الشقة :

- ادبيث .. هل رأيت حقيقتي ؟ فقد وضعتها في مكان ما ولا أستطيع العثور عليها ؟

قال ريتشارد :

- مساء الخير يا ادبيث ..

ثم دخل امامها الى الشقة ، لم يكن يشعر بارتياح ، وكان يحاول ان يغطي هذا الشعور القادر ببالغة في التلطف معها ، وان كان يشعر ان هذه الممارلات غير مقننة ، وكان ذلك يزيد في حرجه .

اجابت الخادمة في احترام :

- مساء الخير يا سيدي ا

وجاءه صوت برتنيس يصيح من جديد :

- ادبيث ؟ ألم تسمعي ؟ ادخلي هنا فوراً ..

ثم ظهرت وفوجئت برؤية ريتشارد .

قالت الخادمة :

- لقد حضر المستر كولدفيك يا سيدي .

تقدمت آن نحوه في دهشة وصاحت :

- ريتشارد تعال معي ..

ثم استدارت إلى ادبيث قائلة :

- ابجثي عن هذه الحقيبة فوراً ، لعلها في غرفة سارة ؟

ثم جذبت ريتشارد من قراعه إلى الداخل ..

لمنعت الوصيصة وهي تبتمد :

- في المرة القادمة ستفقدين رأسك
لم يكن ريتشارد يستريح إلى هذه الطريقة التي تتحدث بها أديث
إلى أن .. لم يكن الخدم يخاطبون مخدوميهم بهذه الطريقة منذ سنوات .
قالت له :

- ريتشارد . هذه مفاجأة ، لم أكن انتظرك اليوم ، فقد توعدنا على
أن تتفدى معنا غداً .

قال باسم :

- لم استطع الانتظار حتى الغد ، انظري . فقد أحضرت لك هذه
الزهور

تسارلت منه الزهور وشكرته ، ولكنه لاحظ أن الغرفة مليئة
بالزهور .

قال ريتشارد :

- أنت تبدين في غاية السرور والانفعال .

- طيباً .. إن سارة ستصل اليوم أ

- حقاً ؟ فقد نسيت ..

قالت في عتاب :

- ريتشارد ..

ولكنه كان قد نسي حقاً ، فقد أخبرته بوعده وصول ابنتها مرات
ومرات ، عندما كانا معا في المسرح في الليلة السابقة ، لم يشر أحدهما
إلى هذه الحقيقة بكلمة واحدة .

كانت قد اتفقت معه على أن تبقى بمفردها مع ابنتها يوم وصولها على

ان يزورها في اليوم التالي ويتناول الغذاء معها ، قال .
- انا اسف حقاً يا عزيزتي ، فقد نسيت تماماً الموعد ، ولكن لم أنت
منفعملة هكذا ؟

ردت في عصبية :
- أريد أن أسرع إلى المحطة لأكون في استقبال ابنتي ، انت لا
تتصور كم أنا مشتاقة اليها ا

ثم نظرت إلى ساعتها قائلة :
- على العموم عندي بضع دقائق نقضيها معاً .
دخلت الخادمة الغرفة وهي تحمل الحقيبة قائلة في امتماض :
- وجدتها في دولاب الغسيل ا
ضحكت برنتيس وقالت :

- آره . لا بد إني وضعتها هناك عندما كنت أبحث عن أكياس
الهدايا . هل وضعت الملايات الخضراء على سرير سارة ؟ هل نسيت ؟
- وهل أنا بمن بنسون ؟

- وهل وضعت السجائر على الطاولة ؟

- نعم ا

- و (توبي) و (جامبو) ؟

- نعم نعم ا

ثم هزت رأسها في كبرياء وخرجت من الغرفة

تادتها ان :

- ضمني هذه الزهور التي أحضرها مستر كولدفيك في إثناء .

تتوارت الخادمة الزهور وهي تقول :

- لم يعد هناك مكان خال لزهور جديدة ، ولكنني سأرى ما يمكن عمله .

ثم حملت الزهور وخرجت .

قال ريتشارد :

- انت .. لم ارك من قبل قط في هذه الحالة ، انت منفعلة كأنك طفلة ا
ضحكت بانفعال :

- انا لا املك نفسي عندما اتصور اني سأضم ابنتي إلى صدري
بعد قليل .

قال قيا يشبه المناد :

- نعم .. لقد افترقتما دهرأ .. ثلاثة اسابيع كاملة ..

نظرت اليه ان في استسلام لطيف وقالت :

- تسخر مني يا ريتشارد .. اعترف بأنني احب سارة يجنون .. هل
يضايك هذا ؟

- بالطبع لا ، انا أيضا متلهف إلى لقاءها ا

- إنها هوائية وعاطفية ، وانا واثقة أن كلا منكما سوف يحب الآخر .

- انا واثق من ذلك ا

ثم أضاف باسم :

- إنها ابنتك فلا بد أنها فتاة جميلة جداً .

- هذا قول لطيف منك يا ريتشارد ..

ثم وضعت يدها على كتفيه ورفعت وجهها اليه فاستراهما بين ذراعيه
وقبلها ..

قالت وهي ما تزال بين ذراعيه .

. أرجو أن تكون صبوراً معي يا ريتشارد ، اقصد حتى تتعود
ابنتي على فكرة زواجنا ، إن الخبر قد يكون صدمة لها ، لو اني لم أنس
كتابة اسمها على الخطاب ؟

قال في عطف :

- هدتي روعك يا عزيزتي . أنت تعرفين انك قستطيعين الوثوق بي .
قد تنأثر سارة في البداية ، ولكننا سنعمل معاً على اقناعها بأن هذا الزواج
شيء رائع في صالح الجميع ، تأكدي اني ان أغضب إذا سمعت أي كلام
يليه عليها انفعالها .

- اوه .. هي لن تقول شيئاً ، إنها فتاة حسنة التربية ، ولكنها
تكره التفسير هذا كل ما في الأمر .

- ولكنها فتاة ناضجة وستقدر ان هذا الزواج يسعدك .

ولكن وجهه ان طلل مكفهراً ، قالت :

- لو اني كتبت لها على الفور .

ضحك ريتشارد عالياً وقال :

رباه يا ان بن يراك يتصور انك طفلة صغيرة ضببطت وهي تسرق
الربى ، نشجعي يا عزيزتي ؛ سيكون كل شيء على مسأ يرام ، سأنجح في
اكتساب رضا ابنتك ؛ سنصبح أصدقاء .

نظرت اليه ان في شك لم تنجح طريقته المرحية في طرد وساوسها ؛
بل ربما كانت تفضل أن يبدو قلقلها مثلها .

واستمر ريتشارد يقول :

— آن .. لا يجب ان تستلمي للوساوس هكذا ؟
— هذا ليس من طبيعتي حقا ا
— ولكنك الآن كتلة من الانفعال والعصبية ، الأمر بسيط يحدث كل يوم ، اننا سوف نتزوج ولسنا بصدده ارتكاب جريمة :

قالت في حيرة :

— الأمر كله هو اني خجولة ، لا اعرف ماذا اقول لسارة ، لا أدري من أين ابدأ .
— لماذا لا تقولين لها ببساطة : د سارة .. هذا هو ريتشارد كولدفيلد الذي سأتروجه في القريب العاجل ؟

ابتسمت برنتيس رغم ان الزعاجها وتمتمت :

— بهذه الفلظة ؟

— اليست هذه هي الطريقة المثلى ؟

أجابت في تردد :

— قد تكون على حق .. ولكنني سأشعر بأني حياء ا

هتف :

— حياء ؟

— نعم .. كيف أتصور نفسي ، وأنا أخبر ابنتي الشابة بأني

سوف اتزوج ؟

— لا أرى عيبا في هذا ا

— هذا لأنك لا تعرف كيف تنظر البنات الى امهاتهن والأبناء الى

ابائهم ، انهم يتصورون أن ذريتهم قد انتموا من الحب ومن كل المشاعر

الديوية ، إنهم يحملون على ذورهم مسألة تجعل من المتعذر عليهم أن يخلعوا عليهم صفات ادمية ، كل أم هي امرأة عجوز بالنسبة لابنتها ، كل ابنة تتصور أن الحب من خصوصيات الشباب فقط .. وهذا ينطبق على ابنتي سارة أيضاً ، سوف ترى في زواجي شيئاً مثيراً للسخرية !

قال في انفعال :

- لا أرى في زواجك مني ما يدعو للسخرية .

- من وجهة نظرك طبعاً نحن متفقان .

نظر اليها ريتشارد برمة مقطب الجبين ..

ثم قال بصوت متجهوم .

- اسمني يا عزيزتي .. أنا أعلم أنك وسارة متعلقتان احداً كما بالأخرى كثيراً ! وأعلم أيضاً أن ابنتك قد تشمر بالغيرة مني ، وإذا حدث هذا فهو أمر طبيعي ، وأنا على استعداد القبول ، بل لعلها ستكرهني في البداية ، ولكنها في النهاية ستتغلى عن مشاعرها الصبيانية ، سوف تعلم أن لك الحق مثلها في أن تعيش حياتك الخاصة ، وأن تبحثي عن سعادتك ؟

احمر وجه برنتيس وأجابت :

- تأكد أن ابنتي لن تحقد على سعادي .. ليس هناك أي وضاعة أو

دناءة في خلق سارة . إنها أكرم مخلوقة في هذه الدنيا .

.. الحقيقة إذا .. أنك تصنعين من الحبة قبة .. من يدريك أن

ابنتك لن تطير من الفرح عندما تعلم بخبر زواجنا ؟ إن هذا الزواج

أيضاً سوف يحررها أكثر من روابط المنزل .
- يحررها من روابط المنزل ؟ أنت تتكلم كما كان يتكلم الناس
منذ مائة عام !

- هل الحقيقة غير ذلك ؟ هل الحقيقة هي أن الأم لا تريد لفراخها
أن تغادر المش ؟
.. أنت مخطئ ، يا ريتشارد . مخطئ ، تماماً !

- لم أكن أريد ان أخيفك يا عزيزتي ، ولكن حب الأم الزائد قد
يكون ضد صالح أبنائها . أذكر أني كنت شغوفاً كثيراً بأبي وأمي
ولكن الحياة معها كانت شير جنوني . كنا يسألاني كل يوم عما إذا
كنت سأناخر في الخارج ، ويسألاني عن الأماكن التي أذهب إليها .
لا تفس مفتاحك . لا تحدث ضجة عند عودتك متأخراً . لقد نسيت
نور الصلاة مضاء بالأمس . ماذا ؟ هل تريد أن تخرج الليلة أيضاً ؟
أنت لا تقدر مشاعرنا محوكة ؟

توقف ريتشارد عن الكلام لحظة ثم قال :
لقد كنت أقدر مشاعرهما محوي كثيراً ، ولكن بعلم الله كم كنت
أترق للانفصال عنها .

- أنا أفهم كل هذا طبيعياً .
- لا تغضبي إذا ، إذا اتضح لك أن سارة تحلم باستقلالها عنك أكثر
منما تتصورين ، لعلمنا تريد أن تكون فتاة أعمال

- ابنتي ليست فتاة أعمال ؟
- هذا ما تتصورينه ، ولكن هناك فتيات كثيرات يعملن جنباً إلى

جنب مع الرجال .

- هذا بسبب الحاجة المادية .

- ماذا تقصدين ؟

قالت برنثيس بضيق .

- أنت متأخر عن هذا الزمن بخمسة عشر عاماً على الأقل ، كانت
الموضة الشائعة قديماً هي الاستقلال عن الأبوين ، وما زالت بعض الفتيات
يفعلن ذلك ، ولكنها لم تعد صرخة العصر . لقد فقدت تلك الموضة
بهاءها وروعيتها ، أصبحت الفتاة لا تعمل إلا إذا كانت محتاجة فعلاً
إلى المال . ابنتي ليست بحاجة إلى المال ، وهي لا تعرف شيئاً ، إلا
أنها تتقن بعض اللغات وتدرس ديكورر لتسيق الزهور ، عندي صديق
يملك محلاً للزهور ، وقد اتفقت معه على ان تعمل ابنتي معه ، إذا
شئت .. لا معنى إذا للكلام عن فتيات الأعمال ، وعن الرغبة في
الاستقلال والشوق إلى الحرية ، سارة هي فناء طبيعية تحب أمهاسا ،
وتحب بيتها .

- أنا اسف يا عزيزتي ، ولكن ..

قطع عليه حديثه دخول الخادمة وحل وجهها دلالات الذي كان
يسرق السمع .. قالت :

- لا أريد أن أقطع حديثكسا ، يا سيدتي .. ولكن الوقت يمر

بسرعة ..

نظرت آن إلى ساعتها ، ثم اجابت :

- لا يزال عندي بضع دقائق .

ثم صرخت :

- رباه .. ساعتي متوقفة ، ما هي الساعة بالضبط يا أديث ؟
- الواحدة والنصف تماماً !

هتفت آن :

- يا إلهي .. سوف تصل ابنتي إلى المحطة ولا تجدني في انتظارها ،
كل شيء يسير ضدي اليوم .. أين حقيقتي ؟ اه .. ها هي .. اسمع يا
ريتشارد .. لا تنصرف .. ابق حتى أعود وتناول معنا الشاي ، اعتقد
ان هذه أفضل طريقة ، والآن يجب أن اجري

هرعت برتيس إلى الباب وخرجت ..



كانت أثناء خروجها قد اصطدم طرف ثوبها باناء أزهار ، به زهور
التيوليب ، فأوقع بعض الزهور على الأرض ..
المخنت الوصيفة فوق السجادة والتقطت الزهور ، ثم أعادتها بمنأى
بالفة إلى الأناة قائلة :

- إن زهور التيوليب هي الزهور المفضلة عند الأناة سارة .

قال ريتشارد بشيء من التذمر :

- يبدو أن هذا المنزل يدور كله في فلك الأناة سارة !

اختلست الخادمة منه نظرة سريمة ، وقسالت له بصوت مجرد من

الماطفة :

- إنها فتاة مدهشة في الواقع ، وهذا شيء لا يمكن إنكاره ، إنها شقية كثيرة الحركة والضجة ، ومعتادة على أن تترك كل ثيابها وأشياءها مبعثرة في كل مكان . إنها تثير جنوني ، وانا أنظف خلفها ، ولكفي أعبدها رغم كل شيء . . لا يملك كل من يعرفها إلا أن يعبدوها . . إنها جذابة ، وهذه هبة طبيعية لا حيلة لأحد فيها .

هناك فتيات غيرها مؤدبات لا يسببن أي متاعب لنوعين ، ويتنظفن كل شيء بأنفسهن ، ولكنهن مع ذلك غير محبوبات لأنهن ثقلات الظل ، هذه أيضاً لعبة من السماء لا حيلة لأحد فيها ، قل ما شئت ، قل أنه عالم قادمي لا عدالة فيه ، ولكن هذا هو واقع الدنيا برغم ما يقوله السياسيون والحالمون والمثاليون عن وجوب العدالة والمساواة .

قال ريتشارد محاولاً ان يكسب ود الوصيفة الخفيفة :

... لقد مضى عليك عهد بعيد وأنت مع مسز برنتيس ، اليس كذلك يا أدبث ؟

... أكثر من عشرين عاماً ، فقد التهمت بخدمة امها قبل أن تتزوج مسز برنتيس الراسل ، فليرحمه الله ، كان سيداً مهذباً
نظر اليها ريتشارد بحدة . . هل تعرض المرأة به ؟ هل تقارن بينه وبين الزوج السابق ؟

سألها : هل اخبرتك مسز برنتيس أننا سننزوج قريباً ؟

أومأت برأسها وردت :

- نعم ، ولو ان الأمر لم يخف علي من البداية ا

- ارجو أن نصير أصدقاء انا وأنت يا ادبث .

ردت في تشاؤم

- أرجو ذلك يا سيدي .

- قد يسبب زواجنا لك مزيداً من الجهد والعمل ، ولعله يحسن أنت
ان نستمين بامرأه اخرى لتساعدك .

- لا اوافق على ذلك ، إن هذه المرأه ستكون عامل تعطيل اكثر
منها عامل مساعد لي ، انا لا أكل ولا اعمل من العمل ، كل ما سيحدث
هو تغيير نظام المعيشة ، نظراً لوجود رجل في المنزل .. وجيبسات
الطعام مثلاً ؟

رد ريتشارد باسما :

- انا لست شرها في المعاداة ا

تمتت على غير المتوقع :

- المهم هو اصناف الطعام لا كمياتها ، وعلى العموم فإن وجود رجل
في المنزل سيضفي بهجة جديده على كل شيء .

قال ريتشارد بامتنان :

- هذا قول لطيف منك ..

- تستطيع ان تعتمد علي يا سيدي ، ما كنت لأخذل مسز برنتيس

قط .. ما كنت لأخلى عنها ابدأ خصوصاً وهي على اهبة المتاعب ا

هتف ريتشارد في انزعاج :

- المتاعب ؟ ماذا تعنين بذلك ؟

ردت أدبث :

- لم يطلب احد نصيحتي من قبل ، وانما لست بالتي تعطي النصيحة

بدون طلب ، ولكن ما هو رأيي ، لو ان الالسة سارة عادة لتجدكما
زوجا وزوجة ، فإن ذلك كان يكون افضل للجميع .
وقبل ان يجيب ريتشارد رن جرس الباب فجاء ..
وقبل ان تتحرك اديث رن الجرس مره اخرى ، ثم استمر الرنين
بدون انقطاع ..

قالت اديث باسمة مشيره إلى الباب :

اذا اعلم ايضا من يدق الجرس بهذه الطريقة ؟

وسارت حتى وصلت إلى الباب الخارجي ، وعند ذلك ترامت إلى اسراع
ريتشارد اصوات تضحك وتتكلم بسرعة ا

صاح صوت فتاة :

- اديث ايتما المعجوز العزيزه ابن ماما ؟ هيا يا جير .. ضح ادوات
الانزلاق في المطبخ .

وصاح صوت الرصيعة :

- ايس في مطبخي بكل تأكيد ؟

وصاح صوت الفتاة :

- ولكن ابن ماما ؟

ثم دخلت سارة الغرفة ..

كانت فتاة سمراء جميلة ، وكانت مغممة بالشباب والحيوية لدرجة
أثارت دهشة ريتشارد كولدفيلد .

كان قد رأى صوراً فوتوغرافية لسارة من قبل ، ولكن الصور

الفوتوغرافية تمكس الشكل ، ولكنها لا تمكس الروح .
وكان ريتشارد يتصور سارة نسخة شابة من أمها ، ولكنها كانت شخصاً
مختلف تماماً ..
كانت كثلة من الشباب والألوة ، كان مجرد وجودها يضيء على
المكان روحاً غريبة !
صاحت :

— أوه .. ما أجل زهر التوليب هذه ، إن لها رائحة الليمون
الطازج الذي أشرف فيه بوجود الربيع .
وعند ذلك وقع نظرها على ريتشارد .

قال ريتشارد بسرعة :

— أيا ريتشارد كولدفيلد .

صافحته بأدب ثم سألته :

— هل أنت في انتظار ماما ؟

قال ريتشارد :

— أخشى إنها ذهبت إلى المحطة لاستقبالك منذ دقائق قليلة ، منذ
خمس دقائق بالتحديد .

صاحت سارة :

— لقد تأخرت كما دتما ، لماذا لم تحرص أديث على أن يجعلها تحافظ
على الوقت ؟ أديث أين أنت ؟

قال ريتشارد :

— لقد توقفت ساعتها ..

أجابت دون اكتراث .

— حقاً .. جيرى .. أين أنت يا جيرى ؟

ودخل الغرفة ، في هذه اللحظة ، شاب ذو وجه جميل وهو يحمل حقيبة سفر في يده .

قال جيرى ساخراً :

تخادمك المطيع جيرى ، أين تريد أن أضع حقيبتك ؟ لماذا لا يوجد حبالون في هذه المنازل ؟

أجابت ضاحكة :

— هناك حبالون كثيرون ، ولكنهم يختفون عندما يصل أحد ومعه

حقيبة سفر ، دخل الحقيبة إلى حجرتي يا جيرى ، أوه .. هذا هو مسافر جيرى ليولد يا مسافر .. مسافر !

قال ريتشارد :

— كولدفيك ، ريتشارد كولدفيك .

دخلت أدبث الغرفة ، فعانقتها سارة وقالت :

— ما أسعدني برؤية وجهك المتجهم العزيز ..

هتفت أدبث في كبرياء :

— وجهي المتجهم حقاً .. هذا كثير ، وأرجوك ألا تقبليني يا مس

برنتيس من فضلك .

أجابت ضاحكة :

.. لا تتظاهري بالغضب أيتها الماكرة ، أنت تعرفين أنك سعيدة
لعودتي .. رباه ، ما انظف الشقة يا اديث ، كل شيء كما عهدته قبل
سفري .. لا فقد تغير مكان المكتب ، والكنبة أيضاً .
- والدتك هي التي أمرت بهذا التغيير ، لأنه يجعل الغرفة أكثر
اتساعاً .

قالت سارة في ضيق :

.. لا لا . أنا أريد كل شيء كما كان اجيري .. جيري !

دخل جيري الغرفة مسرعاً وهو يقول :

- ماذا وراءك الآن ؟

ولكن سارة كانت قد شرعت في نقل المكتب .. وكان ريتشارد

يساعدها !

قال جيري لريتشارد :

- لا تقمب نفسك معها يا سيدي ، هذا هو عملي ، أين تريد المكتب

يا سارة ؟

ردت سارة :

- حيث كان دائماً ، هناك ؟

تمت عملية التغيير وتنفست سارة الصعداء وقالت :

- هذا أفضل بكثير !

قال جيري وهو ينظر إلى الغرفة بعين الناقد :

- لا أعتقد ذلك ؟

تمتت في عناد :

- ولكنني أرى أنه أفضل بكثير ، أنا أحب ان يبلى كل شيء في
المزل كما هو ، وإلا فإنه لا يعود منزلاً ، أين الوسادة التي عليها رسوم
الطيور يا أديث ؟

اجابت الوصيفة :

- ارسلناها للتنظيف ؟

تمت سارة :

- حسناً .. سوف أذهب الآن لأرى جبرتي ، جيرتي جهاز انسا
بعض الشراب ، أنت تعرف مكان كل شيء .
ثم خرجت ..

قال جيرتي لريتشارد :

.. ماذا تحب أن تشرب يا مستر كولدفيلد ؟

ولكن ريتشارد قال في حدة مفاجئة :

- لا شيء من أجلي يا مستر ليولد ، سوف انصرف ؟

سأله جيرتي :

.. ان تنتظر عودة مسز برنتيس ؟ من المؤكد أنها ستكون هنا سريعاً
عندما تكتشف انها وصلت بعد وصول القطار .

قال ريتشارد :

لا .. شكراً لك .. ارجو ان تبلغ مسز برنتيس بأني سأحافظ على

موعد الغد ..

ثم أحس رأسه تحية له وخرج ..

ورامى اليه وهو يهبط الصالة صوت سارة وهي تتحدث إلى الوصيفة

بسرعة فائقة

فكر انه من الأفضل حلاً ان ينصرف ..

فقد ازعجه انه لم يجد سارة كما تخيلها . كان يتخيلها طفلة واقعة تحت تأثير حب امها الزائد لها .

حق هذه اللحظة كانت سارة اسماً مجرداً ، ولكنها الآن حقيقة واقعة .

الفصل السادس

اللزمة

عادت سارة إلى الغرفة وهي تحبك حول جسمها روبا منزليا انيقا اظهر
قدها الرشيق .

قالت وهي تدخل الغرفة :

- كان لا بد أن التخلص من ملابس السفر ، إلي في حاجة قوية
لحمام .. ما اشد قذارة العطارات ، هل جهزت شراباً لي يا جيري ؟
ناولها جيري كأسها ..

- شكراً لك يا جيري ، هل ذهب ذلك الرجل ؟ جداً لله ؟

سألها جيري :

- من هو ؟

ضحكت سارة وقالت :

- لم اره قط في حياتي ، لا بد انه واحد من المعجبين بامامنا
دخلت ادبث الغرفة للتزيح الستائر ، وسألتهما سارة من كان ذلك

الشخص يا ادبث ؟

— إنه صديق لوالدتك ..

قالت في مرج :

— من حسن الحظ إني عدت في الوقت المناسب كي اشرف على نوع
الأصدقاء الذين تختارهم ماما .

نظرت إليها الوصيفة في امان ثم قالت :

— ألم يخبلك ؟

قالت سارة :

— لا لم يخبيني .

هند ذلك غفمت الوصيفة بجملة غير مفهومة ، ثم غادرت الغرفة ا

سالت باسمه :

— ماذا قالت ادبث ؟

اجاب جيري :

— اعتقد أنها قالت « هذا شيء مؤسف » ا

— حقاً يا له من كلام غريب ، ولكن لماذا تأخرت ماما هكذا ؟ لماذا

هي متخبطة بهذا الشكل ؟

— لا اظن إن والدتك يمكن ان توصف بأنها متخبطة ا

— لقد كان لطيفاً منك يا جيري ان تحضر للسابلتي في المحطة ، إني

اسفة لأنني لم اكتب لك من سويسرا ، كيف أصبحت في الخروج من عملك

وسط النهار هكذا ؟

لم يجب جيري في الحال ، ففكر قليلاً ، واخيراً قال متظاهراً بعدم

الاكتراث :

- لم يكن نهروحي شيئاً صعباً نظراً للظروف .
اعتدت في جلستها بجدة ، ونظرت إليه كأننا نقرأ في وجهه ما
يخفيه ، وسألته .

- هيا يا جيري .. اخبرني ماذا حدث ؟

- لم يحدث شيء .. لم تسر الأمور على مسأيرام ، هذا كل
ما هنالك .

قالت سارة في لوم :

- اهد وعدني بأن تكون صبوراً ، وأن تبذل جهدك في العمل ؟

اكفهر وجه جيري وتمم :

- اعرف ذلك يا عزيزتي ولكنك لا تستطيعي ان تتصورى كيف
تسير الأمور في هذا المكتب ، يا إلهي .. فقد عدت إلى الوطن من
جسم الحرب في كوريا متصوراً اني سأجد فردوساً في إنجلترا .
ولكن ما أشد خيبة املي ، كان الزملاء في كوريا اشخاص مهلبين
على الأقل ، أما مكتب عمي لوك الذي أعمل فيه فهو قفص بارد ،
وعمي لوك نفسه شخص لا يطاق ، شخص سمين ذو عينيّن ضيقتين مثل
عيني الخنزير ، وهو يتكلم بهذه الطريقة .

ثم شرع جيري بقلد عمه :

« أنا سعيد لمودتك من كوريا يا بني ، ارجو ان تكون قد شبعت من
هذه المغامرات ، وان تستقر في مكنتي وتبدأ حياتك العملية ، هنالك
مستقبل باهر لك في مكنتي إذا كنت نخلصاً ونشيطاً ، وستبدأ طبعاً من

القاع . هذا هو شعاري ، لا مجاملات ، تكفيك النزهة التي نعمت بها في كوريا ، والان إلى العمل في المكتب في جد وحاس .

وزفر جيري في ضيق ثم قال :

- النزهة التي نعمت بها في كوريا .. إنه يسميها نزهة .. ذلك الخنزير الغني ، كم أتمنى لو إني أراه أسيراً لأحد الجنود الصليبيين ، هو وهؤلاء الرأسماليون الرجعيون الذين يجلسون خلف المكاتب الفضة ، ولا يفعلون شيئاً أكثر من جمع المال والمال والمال ..

قالت سارة في ضيق :

- أوه .. هدىء نفسك يا جيري بحق السماء ، إن عمك رجل ينقصه الخيال ، هذا كل ما هناك ولا ادري ما بغضبك ، فقد قلت بنفسك انك تريد ان تجد وظيفة وان تدخر مالا .. قد يكون العمل في مكتب عمك شيئاً بغيضاً ، ولكن ليس أمام المضطر أن يختار ، اليس كذلك ؟ يجب ان نحمد حظك لأن لك عما غنياً في لندن .. كثير من الناس يتمنون ان يكون لهم حظاً مثل حظك .

صاح جيري :

- ولماذا صار عمي غنياً ؟ لأنه يسيح في الأموال التي كان يجب ان تؤول اليّ لا اليه ، الأموال التي تركها له جدي ولم يتركها لوالدي .. دعنا من كل هذا .. لو إن جدي ترك المال لوالدك لنفذ قبل أن يصل اليك ، ووجدت نفسك صفر اليدين .

- ولكن هذه ليست عدالة ، يجب ان تعترف بذلك ا

اجابت سارة بتفلسفة :

- لا توجد عدالة في هذه الدنيا يا جيري ، وانت تعلم ذلك ، يجب أن تكف عن عادة الشكوى من الظلم ومن سوء الحظ .

قال جيري في امتعاض :

- انت لا تتعاطفين مع ظروفى ؟

- لا .. لأنى افضل الصراحة دائما ، اعتقد انك يجب أن تختار واحداً من مرفقين .. إما ان تستقيل من هذا العمل الذي لا تحبه ، وإما أن تبقى فيه وتخلص له بدون تدمير أو شكوى ، بل تسبح بحمد الله ، أأه الليل وأطراف النهار ، لأنك تعمل في مكتب عمك الذي يشبه الخنزير كما تقول أه .. اعتقد ان ماما قد وصلت .

فتبعت آن باب الشقة ، ثم اسرعت إلى الداخل وهي تهتف :

- ابنتى .. حبيبتي ا

صاحت سارة :

- عزيزتى ماما .. اخيرا ا

تعاذت الأم والابنة عناقا حارا ، ثم سألت سارة :

- ماذا حدث لك ؟

قالت الأم وعيناهما مفرورتان بالدموع :

- لقد توقفت ساعتى الحقاء .

- لقد وجدت جيري في انتظاري بالحطة .

تنبّهت آن إلى وجود جيري ، فتظاهرت بالسرور لرؤيته ، ولو أنها

كانت ترجو ان تكون ابنتها قد نسيته تماما .

ردت الابنة وهي تتأمل امها باعجاب :

- شكراً لك يا مسز برنتيس ، في الحقيقة لا بد أن انصرف الآن ،
وداعاً يا سارة
صحبتك سارة إلى باب الشقة ..

سألها :

- ما رأيك في الذهاب إلى السينما معاً هذا المساء ؟ هناك فيلم جيد
في سينما الأكاديمية .
- هذه فكرة بديعة يا جيرى ، ولكنني أعتقد أنه يجب ان افضي
ليلقي الأولى مع أمي .. سوف تحزن كثيراً إذا رأني اخرج بمجرد
عودتي ..

- أنت ابنة عظيمة !

- وماما أم عظيمة ايضاً .

- طبعاً .. أعرف ذلك جيداً .

- صحيح إنها تسأل أسئلة كثيرة ، ولكنها محوماً للأمهات أم عاقبة
اسمع يا جيرى .. سأبقى مع أمي ، ولكن إذا وجدت الطرف ملائماً
للخروج فسأصل بك ..
وعلى هذا الفترقا

* * *

عادت سارة إلى خرفة الاستقبال ، وبدأت تقضم قطعة من
البسكويت ، قالت :

- ما أبرح اديث في صنع البسكويت .. لا ادري من اين تحصل على
المواد التي تصنعه منها ، ولأن يا ماما . حديثي بما كنت تفعلين أثناء
غيابي في سويسرا .. هل كنت تخرجين كثيراً مع الكولونيل غرانت ؟
هل قضيت وقتاً طيباً ؟

قالت في تردد :

. لا . نعم .. تقريبا ا

نظرت اليها سارة في دهشة وقالت :

- ماما .. هل حدث لك شيء ؟

.. شيء ؟ لا .. لماذا ؟

ضحكت سارة وقالت :

- على وجهك علامات غريبة ا

ضحكت آن في عصبية وتمتت :

.. حقا ؟

قالت سارة وهي تمسك بكنتفي أمها :

.. تماما . هناك شيء .. هيا .. اخبريني . مهما يكن امراً فظيماً

فسوف اتقبله ا

اقلنت آن من يدي ابنتها ثم ردت في اضطراب :

. لم يحدث شيء يا عزيزتي .. أو هل الأقل .. أوه . عزيزتي سارة

يجب أن تتأكدتي إن ذلك لن يحدث تغييرا لما بنيت ، سيبقى كل شيء

كما هو ، فقط ا

ثم توقفت الأم عن الحديث عاجزة عن الكلام ، قائلة لنفسها : يا لي

من جبانة .. لماذا لا أستطيع الحديث مع ابنتي ؟
أما الابنة فلإنها ظلت تحدق في وجه امها ، واخيرا افتر ثغرها عن
لبسامة سرور صافية ، هتفت .
- أعتقد .. هيا يا ماما . هل أنت تحاولين التلطف في اخباري
بأنك على وشك الزواج ؟

تهدت الأم من أعماقها وصاحت :
- اوه .. عزيزتي .. كيف خمنت ؟
ولكن سارة احتضنتها في وله وردت :
- لم يكن صعباً علي اكتشاف ذلك ، لم أر في حياتي احداني مثل
هذا المرح ، ماما .. هل تتصورين ان زواجك يضايقني ؟

- هذا حقاً ما تصورته .. ألا يضايقك زواجي ؟
اجابت الابنة في طعنة جاده بدت معها اكبر من سنها :
- لا يضايقني البتة ، اعتقد ان مسأ فعلين ، هو عين الصواب ، فقد
توفي بابا منذ ستة عشر عاماً .. من حقدك ان تتمني بشيء من المجلس
قبل ان يفوت الأوان ، انت الآن تعبرين ما يسمونه بالسنوات الخطره ،
والا اعلم ان اخلاقك لا تسمح لك بملاقة غير شرعية ا
كانت الأم تنظر إلى ابنتها وهي تشرم بدي عجزها امامها .

قالت سارة تؤكد ما سبق ان قالته :
- نعم يا أمي .. معك انت لا يد ان يكون الأمر زواجاً ؟
ثم أخذت تنظر إلى امها من اليمين واليسار فاحصه ، قائلة :
- أنت ما والين جميلة ، ذلك لأن بشرتك رقيقة ، ولكن يا ماما

يجسن ان تضي رموشا صناعية .

قالت الأم في حده :

- انا راضية عن رموشي كما هي ؟

قالت سارة بسرعة :

- اسفة يا ماما . لم اقصد ان اعيب شيئا فيك ، الحقيقة انك رائمة الجمال ، وأنا مندهشة لأنك لم تتزوجي حتى الآن ، من هو الشخص المحظوظ على فكرة ؟ انتظري .. دعيني أخمن ، لا بد إنه واحد من ثلاثة .. الكولونيل جرانت ، او البروفيسور جودفري فين ، او ذاك الصديق البولندي صاحب الاسم الذي لا يمكن نطقه ، ولكني ارجح انه الكولونيل جرانت ، فقد كان يطاردك منذ سنوات .

قالت الأم في هدوء .

- ليس الكولونيل جرانت يا ابنتي . إنه ريتشارد كولدفيك .

- من هو ريتشارد كولدفيك .. ماما ليس ذلك الرجل الذي كان هنا بحق السماء ..

أومات الأم برأسها دون ان تجيب ا

-- ولكن .. يا ماما كيف توافقين على الزواج من ذاك الرجل ، إنه

ثقيل الظل ا

ردت الأم في صرامة :

- إنه ليس ثقيل الظل ؟

-- ولكن يا ماما ، من المؤكد انك تستطيعين المشور على زوج

افضل من هذا

- سارة . أنت لا تعرفين ماذا تقولين .. أنا .. أنا مشغوفة جداً
بريتشارد كولدفيلد .

أجابت سارة وعلى وجهها علامات عدم التصديق :
- مشغوفة به ؟ هل تعنين أنك تحبينه ؟ تحبينه فعلاً ؟

أومات آن برأسها .

هزت سارة رأسها وتمتمت :

- أنا لا أستطيع ان اتصور هذا !

قالت الأم في لفة :

- ولكنك رأيت ريتشارد لحظة فقط ، وأنا واثقة أنك ستعجبين به

عندما تعرفينه أكثر .

- إنه يبدو شخص فظ ..

تنهدت وأجابت :

- هذا بسبب خجله الشديد !

ردت سارة ببطء :

- لك ما تشائين يا ماما .. إنها « جنازتك أنت » كما يقول المثل .

صمتت الأم وابنتها للحظات ، وكانت كلتاها لا تدري ماذا تقول .

واخيراً قطعت سارة الصمت قائلة :

- في الحقيقة يا أمي انت في حساسية إلى من يحتم بشؤونك ويرشدك

في الحياة .. مسأ كدت اتركك ثلاثة أسابيع حتى القيت بنفسك في

هذه الحماقة .

صاحت الأم في استياء شديد :

- سارة .. هذا قول قاس جداً !
- اسفة يا ماما ، ولكنك تعرفين إني أؤمن بالصراحة المطلقة .
- لا أوافقك على هذا المبدأ ..

قالت الابنة دون ان تتأثر بغضب أمها :
.. منذ متى بدأت هذه الحكاية ؟
ضحكت آن وأجابت :

.. بحق السماء يا ابنتي ، انت تتكلمين كأنك أب محافظ في رواية قديمة
فقد قابلت ريتشارد منذ أسابيع قليلة .

سألت سارة :

- اين كان هذا اللقاء ؟

أجابت برنتيس بصوت خافت :

- في حفل العشاء الذي اقامه الكولونيل جرانث ، إن ريتشارد عائد
حديثاً من بورما .

.. هل عنده رأس مال ؟

ردت برنتيس ساخرة :

- عنده رأس مال مستقل ، وهو قادر تماماً على إعالي ، وهو أيضاً
موظف في شركة (اخوان هيلنز) ، وهي شركة كبيرة محترمة ، والآن
كلني يا سارة ، كأنك الأم وأنا الابنة .

قالت سارة في جدية تامة :

- قلت لك أنك محتسجة إل من يرشدك إلى الصواب ، من الواضح
أنك عاجزة تماماً عن العناية بنفسك .. إني أحبك كثيراً ، ولا أريدك

أن ترتكبي حماقة من أي نوع .. وذاك الرجل هل هو اعزب ، ام
مطلق ام ارمل ؟

اجابت آن بتمثل :

- لقد فقد ريتشارد زوجته منذ سنوات ، ماتت المسكينة وهي
تضع طفلها الأول ، ومات الطفل أيضا .

تمهدت سارة وهزت رأسها قائلة :

- الآن ادرك كيف نجح في التأثير عليك ، انت تتأثرين دائما بهذه

القصص الحزينة ا

صاحت آن :

- كفاك تحريفاً يا ابنتي ..

استمرت سارة في اسئلتها :

- هل له اخوة ، او اخوات ، او أم ؟

- لا .. لا اعتقد إن له اقرباء على الاطلاق .

قالت سارة ضاحكة :

- هذه حسنة .. هل له منزل . اين تنوي ان الاقامة ؟

قالت آن بعصبية :

- هنا طبعاً ، المنزل كبير ، وريتشارد عمله في المدينة ، ارجو الا يضايقك

هذا اللاتييب يا ابنتي ..

- اوه .. لست انا التي ستتضايق ، إلي افكر فيك

- هذا لطف منك يا حبيبتي ، ولكن فأكدي انني اعرف صالحني

تماماً .. انا واثقة في وريتشارد سلسعد معاً .

- متى تنويان ان تمعدا الزواج ؟
- في بحر ثلاثة اسابيع ..
هتفت الابنة في ارتياح
- ثلاثة اسابيع ؟ اوه .. هذه مدة قصيرة جداً ، لا يمكن ان نتزوجا
بهذه السرعة .

- لا اري حكمة في الانتظار .
ودت سارة متوسلة :
- ارجوك يا أمي ، أجلي عقد هذا الزواج قليلا .. امنعيني بعض
الوقت كي . كي أقمود هل هذا التغيير . أرجوك .. أرجوك
يا ماما ..

قالت برنتيس في ضيق :
- لا أدري .. سوف نرى .
- شهر ونصف مثلاً . شهر ونصف على الأقل ا
- إننا لم نحدد تاريخاً للزواج ، على العموم ريتشارد سيتفدى معنا
خدماً .. سارة أرجو أن تكوني لطيفة معه ..

- طبعاً يا ماما . ماذا تظنين في ؟
قالت برنتيس في ارتياح :
- شكراً لك يا عزيزتي ا

- ابنتي بالله يا ماما .. لا داعي للقلق بخصوص أي شيء ..
قالت برنتيس في غير اقتناع :
- أنا واثقة إنك وريتشارد ستسجهاان معاً

لم ترد سارة بشيء .

قالت آن في غيظ مكثوم :

- تستطيعين على الأقل ان تحارلي ؟

ردت سارة بعد تردد قصير :

- قلت لك انه لا موجب للقلق ، مامسا هل تحبين أن أبقى معك

هذا المساء ؟

- لماذا ؟ هل تريد الخروج ؟

- كنت افكر بالخروج ، ولكنني اكره أن اتركك بمفردك ..

ابتسمت برنتيس ، وهي تشمر بالرابطه القديمه بينها وبين ابنتهما

تعود .. قالت .

- أوه ..

ثم قالت :

- أوه .. لن أكون وحيدة .. في الواقع لقد دعنتي لورا ويستابل

إلى الاجتماع إلى محاضرة لها

لم يكن في نية برنتيس ان تشهد المحاضرة من قبل .

وكانت تستطيع أن تتصل بريتشارد كولدفيك وتخرج معه ،

ولكنها خجلت في أحاسنها من هذه الفكرة وكأنها ترتكب خطأ .

لعله من الأفضل أن تنتظر حتى يتم لقاء ريتشارد بابنتها سارة

في الغد ..

قالت سارة :

- حسناً .. اذهبي انت إلى لورا ، يا امي .. وسوف اتصل

بيجيري تليفونيا ..

... أوه .. هل هو جيري الذي تنوين الخروج معه ؟

قالت سارة في تحد :

- نعم .. لم لا ؟

ولكن برنيس لم تواجه التحدي ، وقالت في تحاذل :

- كنت إنسان .. هذا كل ما في الأمر ؟

الفصل السابع

جيري ليولد

- ١ -

-- جيري ..

-- نعم يا سارة .

-- جيري .. أألا أشعر برغبة في مشاهدة هذا الفيلم ، هلا ذهبنا إلى

مكان آخر لنجلس ونتحدث ؟

-- طبعاً يا عزيزتي ، هل نذهب لتناول طعامنا أولاً ؟

-- لا .. لا استطيع ، فقد التفتني اديث بالطعام قبل خروجي

-- دعينا إذاً نذهب للشرب شيئاً .

راختلس منها جيري نظرة سريعة ليري ما يزعجها ، ولكن سارة

لم تتكلم إلا بعد ان جلسا معاً في مكان هادئ ، وأمامها كأسان

مليثان بالشراب .

- جيرى .. ماما ستزوج مرة ثانية .

قال جيرى في دهشة حقيقية :

- يا إلهي .. ألم يكن عندك فكرة من قبل عن هذا الموضوع ؟

- كيف كان لي أن أعلم ؟ فقد قابلته ماما بعد سفري إلى

سويسرا .

- غرام خاطف إذا .

- خاطف أكثر مما ينبغي ، أعتقد ان ماما فقدت صوابها .

- من هو الزوج المرتقب ؟

- ذاك الرجل الذي كان في المنزل ساعة وصولي .. لا اذكر اسمه

على التحديد ا

- آه .. ذاك الرجل ا

- نعم ألا ترى معي يا جيرى انه رجل مقيت للغاية ؟

- لم التقي بالأية في الواقع ، ولكنه بدا لي شخصاً عادياً جداً ا

قالت سارة في عناد :

- إنه لا يناسب ماما على الإطلاق .

- ليست هي خير من يحكم على هذا ؟

- لا .. ليست هي خير من يحكم على هذا .. مامسا السانة ضعيفة ،

إنها تتألم من اجل الناس ، إنها بحاجة إلى من يرشدها إلى الصواب .

قال جيرى ضاحكاً .

- اعتقد إنها توافقك على هذا ، وإنها اختارت الذي يرشدها إلى

الصواب .

... لا تضحك يا جيري . الموضوع خطير جداً . ذلك الرجل
غير جدير بأمي .

رد جيري بعدم الكراث .

- هذا شأنها هي ؟

- لا . يجب ان اشرف على شؤونها . أنا اعرف الحياة اكثر مما
تعرفها هي ، وأنا افوقها في قوة الشكيمة .

فكر جيري برهة ثم قال .

- على كل حال ، إذا كانت امك مصممة على الزواج ا

قاطمته بسرعة :

- أرى . أنا لا اعترض على ذلك ، ماما يجب ان تترج مجسداً ،

هذا شيء ، لا شك فيه ، فقد عانت سنوات من الحرمان الجنسي ، ولكنها

قطعاً يجب ان تختار زوجاً غير ذاك الرجل البغيض ؟

- الا تظنين انها

ثم فوقف عن الكلام .

قالت سارة تستعنه على الكلام

- الا اظن ماذا ؟

قال جيري في عدم الكراث .

- الا تظنين لذك ايضاً قد تشعرين بمثل ذاك الشعور نحو شخص ما ؟

مهما يكن قالت لا تستطيعين ان تقطعي بأن ذاك الرجل لا يناسب

والدتك . انت لم تبدليه اكثر من كلمتين ، اليس من الجائز ان سبب

سخطك عليه هو انك .

ثم توقفت لحظات قبل ان يستجمع شجاعته ويقول .

- انك غيورة ؟

صاحت سارة :

- غيورة ؟ انا ؟ تعني إلي لا أريد ان يكون لي زوج أم ؟ يا عزيزي

جيري المسكين ، ألم اقل لك مراراً من قبل ، انني اشعر بأن ماما يجب أن

تتزوج من جديد ؟

- نعم .. ولكن هناك فرق بين الكلام ، وبين الواقع .

قالت سارة بأصرار :

- انا لست صاحبة طبيعة غيورة ، كل ما يعني هو ان احافظ على

سعادة امي وهماها ا

قال جيري في حدة مفاجئة :

- لو كنت مكانك لما حاولت اللعب بحياة الناس .

- ولكنها امي ا

- نعم . ولكن املها تعلم ما يريد فعله .

- امي ضعيفة الشخصية ، سهلة الانقياد .

- على كل حال ليس هناك شيء نستطيع ان نفعله .

ثم صمت جيري وهو يفكر ان سارة متزعجة من اجل لا شيء ، وإنما

تصنع ضجة بدون مبرر ، فضلاً عن إنه كان قد بدأ يشمر بالضجر

من الحديث عن مسز برنتيس ومتاعبهسا . كان يريد ان يتحدث

عن نفسه .

قال فجاء :

- انا افكر بالاستقالة ؟

هتفت سارة :

- الاستقالة من العمل في مكتب عمك ؟ اوه .. جيري ا

- لم اعد استطيع ان التحمل ، لا نستطيع ان نتصور ان الضجة التي يحدثها عمي كلما تأخرت ربع ساعة في الصباح .

- ولكن هذا عمل في مكتب يا جيري ، يجب ان تحافظ على الموايد ..

- إنه مكتب لعين ، لا احد يفكر فيه إلا في المال .. المال فقط ، صباحاً وظهراً وليلاً .

- ولكن إذا تركت هذا المكتب يا جيري ، فإذا تستطيع ان تفعل ؟

قال بثقة غريبة :

- سوف اجد عملاً ما .. عملاً يناسب مواهي ا

قالت في شك :

- ولكنك حاولت كثيراً من قبل يا جيري ، ولم تنجح .

- نقصد ان اتعرض للفصل في كل مرة ؟ حسناً .. لن انتظر الفصل هذه المرة ، سأستقيل .

قالت في حزن :

- هل أنت راضٍ من تفكيرك ؟ مهما يكن ، فالمدبر هو عمك وهو رجل مليونير ا

قال جيري ساخراً .

- وإذا أحسنت التصرف فإنه قد يترك لي فقرة ؟ اليس كذلك هو
ما تقصدينه ؟

- حسناً . طالما سمعناك تشكو من أن جدك ، ماذا كان اسمه ، لم
يترك الثروة لوالدك .

- لو كان جدي رجلاً عميق الاحساس بالروابط العائلية ، لترك
نصف ثروته على الأقل لوالدي ، وما كنت لأعرض لهذه الامانات .
والانتقال من وظيفة إلى وظيفة ، هذه هي الحقيقة ، إن هذا البلد بلد
حقير وأنا افكر في الهجرة

- تهاجر ؟ إلى أين ؟

قال بي شيرود :

- لا أدري ، إلى أي مكان يكون فيه الناس أكثر انسانية

ثم صمت الاثنان وهما يتصوران ذلك البلد الذي يكون فيه الناس
أكثر انسانية .

ولما كانت سارة عملية أكثر من جيري ، فإنها هبطت بسرعة من
سماء الخيال إلى أرض الواقع .

- هل تستطيع أن تقوم بأي شيء بدون رأسمال ؟ هل عندك
رأسمال ؟

- ولا بدس أنت تعرفين هذا جيداً ، ولكن لا بد أن هناك
يمكن القيام به بدون رأسمال .

- دعنا من رأسمال ، ما هي مواهبك على التحديد .

فكر جيري لحظة وأخذ يستمرهن مواهبه المزعومة ، فلم يجد شيئاً
قال في ضيق .

هل يجب أن تثبطني همي بهذا الشكل ؟

— أنا أسفة . ولكنني أفصد إنك لا تتقن أي حرفة ا

— عندي مواهب طبيعية في الرثامة ، وفي الحياة الظليقة ، في
الأماكن الخاوية .

تنهدت سارة وتتمت :

— أوه . جيري ا

— ما بك ؟

— لا أدري ، الحياة تبدو معقدة للغاية ، فقد غيرت الحروب المتتالية
الأمور كثيراً .

رافقها جيري في اعماقه ، ورائت على الاثنيين سمحابة من الكآبة
والحزن

وبعد برهة تتم : إنه سوف يتنازل وبمطي همه فرصة أخرى
لاصلاح الأمور ..

صفتت سارة لهذا القرار ثم قالت :

— أعتقد أنه يحسن أن اعود إلى البيت الآن ، لا شك أن ماسما
عادت من المحاضرة .

— ماذا كان موضوع المحاضرة ؟

— أعتقد إن عنوانها هو (ما هو مصير البشر ؟ وماذا ؟) ، شي

مثل هذا .

ثم نهضت وقالت :

- شكراً لك يا جيري ، فقد ساعدتني كثيراً .

رد واعظاً :

- حسرتي ان تفهمي موقف امك يا سارة ، إذا كانت امك ذلك

الشخص ، وتمتد أنها ستسعد معك فهذا هو المهم .

- نعم . إذا كانت ماما سوف تسعد معك ، فهذا هو المهم .

وعلى العموم فسألتزوجين يوماً ما .

قال ذلك وتحاشى أن ينظر إليها ..

اما سارة فلأنها تشاغللت بالنظر إلى حقيبتها .

لمحمت :

- نعم . يوماً ما ربما ، لست متلهفة الآن ا

ولكن سعابة من عواطف الشباب الحساسة خلقت فوقها وأفعمت

وجدانيها بشهور دافئ سعيد .

* * *

شعرت آن بارتياح عميق اثناء تناول الغذاء في اليوم التالي ..
كانت سارة تتصرف بشكل بديع ، وكانت تتحدث مع ريتشارد
بشكل طبيعي ، لا تكلف فيه ..
وشعرت آن بالفخر لأن هذه الشابة الجميلة ابنتها ، بوجهها الجميل
وأدبها الجلم .

وتنهدت من الأملق ، كان يجب ان تعلم إنها تستطيع ان تعتمد على
ابنتها . نعم ، ما كانت ابنتها لتخذلها .

شيء واحد كان ينقص صفو آن . ريتشارد ..

كان يتصرف في عصبية ، وكان يحاول ان يبدو طبيعياً .. ولكن
محاولاته هذه كانت تزيد في عصبية ، ورغما عنه كان يبدو مفروراً
متعاطفاً ، بل إن بساطة سارة ، وبساطة تصرفاتها كانت تزيد عصبية
واضطرابه ، وتظهر الفرق الشديد بين سلوكه وسلوكها .

وكانت آن تتأم لحالته لأنها تعلم جيداً إنه انسان طيب بسيط .

وكانت سارة ترى اسوأ جانب في ريتشارد بعكس ما كانت تروى
آر ، وهذا في حد ذاته كان يضايقها ويجعلها عصبية ايضاً مما زاد
في ازعاج ريتشارد .

وبعد انتهاء الغذاء وجلس الثلاثة لشرب القهوة ، تظاهرت برنتيس
برغبتها في أن تتكلم بالتليفون ، وتركت الاثنين معاً ..

كانت تأمل ان يتمكن ريتشارد وسارة من الوصول إلى تفاهم ،
بدون وجودها .

أما سارة فإنها قدمت فنجان القهوة إلى ريتشارد في احترام ، ثم
جلست تشرب فنجانها ، وشرع ريتشارد يشرب قهوته وهو يتأمل سارة
في حيرة .

لم تكن اظهرت اي عداة نحو حق الآن ، ولكنها ايضاً لم تكن
اظهرت أي اهتمام به .. كان قد قرن في منزله على ما سبقوله لها . كان
ينوي ان يقول لها انه يفهم موقفها جيداً ويعطف عليها .

وانتهى من شرب القهوة ، ثم بدأ ينفذ خطته ببساطة مفتعلة جعلت
الكلام يقف في حلقه قال :

- اسمي ايتها الشابة .. هناك امر او انسان اريد ان اتحدث
معلك فيها ..

فظرت اليه ساره بوجه خال من اي تعبير .. وقالت في عدم
كثرات :

- حقاً ؟

- اريدك ان تعرفي إلي افهم مشاعرك جيداً .. لا بد ان الأمر كله
كان صدمة لك ، فقد كنت تعيشين مع امك منذ طفولتك دون
وجود شخص غريب ، ومن الطبيعي جداً انك تكرهين أي شخص
غريب يدخل بينكما . ومن الطبيعي ايضاً ان تشعري برارة وبشيء

من الغيرة

قالت في لطف طبيبي :

تأكد إنني لا أشعر بشيء من ذلك قط ؟

كان ذلك انذاراً ، ولكن ريتشارد لم ينتبه اليه .

قال مشاراً على خطته :

- كما كنت أقول ذلك شيء طبيبي جدا .. انا لا اريد منك ان تجيئيني نوا ، لجرد إنني سوف اصبح زوج امك . سأوقع منك ان تكوني باردة لمحوي طالما تشائين ، وحين تنوين ان تذيبي الثلج الذي بيننا سوف تجدينني في انتظارك بأذرع مفتوحة ، المهم أن تفكري في سعادة امك ا

قالت سارة بلهجة ذات مغزى :

- هذا ما افكر فيه فعلاً ا

- وفكري في مدى ما قامت به أمك من أجلك ، وفكري ايضاً انه قد حان دورك لتردي لها الجليل .. انا واثق إنك تريدن سعادتها ، ويجب ان تتذكري انك سوف تفرجين يوماً وتهجرينها . ايضاً لك أصدقاءك واحلامك الخاصة ومطامحك الخاصة ، فإذا هجرت امك ولم تكن متزوجة فإنها ستكون وحيدة في هذه الدنيا ، لذا يجب ان تضي في اعتبارك تقدم مصلحة والدتك على مصلحتك .

ثم توقف ريتشارد عن الكلام متصوراً إنه احسن الادلاء بكل ما كان يريد أن يقوله ..

ولكن سارة فاجأت مشاعره السعيدة هذه . بأن سألته في

أدب :

- هل تلقي كثيرا من الخطب العامة ؟

رد مندهشا دون ان يفهم مرمى كلامها :

- لماذا ؟

- لأنك تنجح في الخطابة بكل تأكيد .

أدرك ريتشارد مغزى كلامها الجارح ، ونظر اليها في غيظ مكبوت
كانت مضطجعة بارتياح ، تتأمل اظافرها الحمراء القاتية ، وأضاف ذلك
اللون الأحمر غيظا فوق غيظ ريتشارد .

تمالك اعصابه بصعوبة بالغة ، ورد محاولا التظاهر بالمرح :

- لعني اطلت عليك الحديث وضجرتك ، ولكنني اردت ان القت
نظرك إلى بعض الأمور التي قد لا تعرفينها ، واحب ان اؤكد لك ان
حب امك لن يقل بسبب زواجها مني .

- حقا ؟ ما اكرمك حين تخبرني بذلك ..

لم يعد هناك شك الان .. هذا عداء صريح ..

ما العمل ؟

لو ان ريتشارد كف عن تقيده ..

لو أنه قال ببساطة وصدق ..

أنا فاشل تماما يا سارة ، انا خبجول وتمس ، وهذا يجعلني اقول أسوأ
الأقوال ، ولكنني أعبد أن .. وارجو أن تحبينني يا سارة كي تسير
الأمور على ما يرام .. كان ذلك جديرا بأن يميل اليه قلبها ، لأنها في

للواقع فتاة ذات قلب كريم .

ولكن كبرياءه رفضت هذا الافلال ..

قال بحدة :

- إن شباب هذا الجيل مليء بالأفانية ، ولا يفكرون إلا في أنفسهم .. يجب أن تفكري في سعادة أمك أيتها الفتاة .. من حقها أن تعيش ، ومن حقها أن تكون سعيدة .. إنها محتاجة إلى من يربعها ويحميها .

رفعت إليه سارة عينيهما ونظرت إليه نظرة قاسية ..

قالت على غير المتوقع :

- أوافقك تماماً على ما تقول ..

وفي هذه اللحظة دخلت برنتيس الغرفة ا

سألت : هل ما يزال هناك قهوة لي ؟

سببت سارة قهوة في فنجان لالث وقدمت الفنجان إلى أمها

. ما هي القهوة يا ماما ، فقد عدت في اللحظة المناسبة بعد أن

انتهينا من حديثنا ..

خرجت سارة من الغرفة ، ونظرت آن إلى ريتشارد ..

كان وجهه محتملاً ..

- لقد قهرت ابنتك أن تكرهني .

ردت برنتيسر :

- يجب أن تكون صبوراً معها يا ريتشارد أرجوك .

تم بصبر :

- لا تقلقي يا عزيزتي . أنا أنوي أن أكون صبوراً معها .

- أنت تدرك طبيعاً إن هذا الزواج جاء مفاجأة لها ..

- طبيعاً ..

قالت آن :

- إن ابنتي في الواقع شابة كريمة المواظفة نقيية القلب .

لم يجب ريتشارد بشيء ..

كان رأيه في سارة أنها فتاة بشعة الأخلاق ، ولكنه لم يجرؤ أن

يبوح برأيه لأمها ..

قال :

- سوف يسير كل شيء على ما يرام .

قالت آن بتمهل :

- أنا واثقة من ذلك .. نحن محتاجان فقط للوقت ا

كان كلاهما تمسأ ، ولم يدر أحدهما ماذا يقول بعد ذلك .



وصلت سارة إلى غرفتها وعيناهما مشرورقتان بالدموع لفرط الجهد
النفسي الذي بذلته أثناء حديثها مع ريتشارد

فتحت الدولاب وأخرجت بعض الملابس ونزعتها على السرير وأخذت
تدليها بين يديها وهي لا ترمي .

دخلت أديث الغرفة وبمنظرة واحدة أدركت حالتها ..

قالت سارة وهي تحاول أن تكتم دموعها :

- إنني افحص ثيابي .. لعل بعضها يحتاج إلى تنظيف ..

أو رقيق ا

قالت أديث :

- لا داعي لذلك ، إنني أعرف على كل شيء ا

لم تحب سارة ، فقد منعتها دموعها عن الكلام .

قالت أديث في عطف :

- لا يجب أن تتألمي هكذا .

صاحت سارة :

- إنه رجل فظ ومقيد .. كيف تستطيع مسامحة أن تحب ذلك

الشخص ؟ أوه .. لقد تحطم كل شيء ، انهار كل شيء .. لن يعود أي

شيء كما كان .

ردت اديث :
... لا لا يا مس سارة .. لا يجب أن توعجي نفسك إلى هذا الحد ،
ما لا يمكن هدمه يجب التسليم به
ضجعت سارة في هستيرية وصاحت :
.. دعيني بفردى يا اديث .. دعيني بفردى ا
خرجت اديث وأغلقت الباب خلفها .
أما سارة فإنها دفنت رأسها في السرير والمخرطت تبكي في حرقنة
كأنها طفلة صغيرة .
كان الأسى يلاؤها ويمزق جوارحها ، لم تكن ترى ضوءاً أمامها
في أي اتجاه ..
بكت وهي تتأوه :
- أوه .. ماما .. ماما ..

الفصل الثامن

اشجار البرتقال

- ١ -

- أو- .. لورا .. ما اسمعني بروياك .
جلست لورا ويتستابل أمام صديقتها آن في ارتياح ..
ثم قالت .
- حسناً يا عزيزتي . كيف تجري الأحوال الآن ؟
فتهدت أن وقالت .
- أخشى أن ابنتي قد أصبحت صعبة المراس كثيراً !
- ولكنك كنت تتوقعين هذا ، اليس كذلك ؟
كانت لورا تتكلم بمرح . ولكنها تنظر إلى صديقتها بمطف
شديد . سألت

.. أنت قبيدين معتلة الصحة ..

- أعرف ذلك . أنا لا أأم جيداً واصاب بنوبات صداع من وقت لآخر !

.. لا يجب أن تتأثري إلى هذا الحد .

- من السهل أن تقولي هذا .. أنت لا تتصورى مدى العذاب الذي اصابه ، ما تمر لحظة يتقابل فيها ريتشارد وابنتي حتى يدب الخلاف بينهما ؟

- إن ابنتك غيرة طبعاً

- اعتقد أن ذلك هو السبب .

- كما قلت لك من قبل ، إنك كنت تتوقعين هذا . إن ابنتك ما تزال في فترة المراهقة ، وجميع الشابات في مثل سنها يكرهن أن ينصرف اهتمام أمهاتهن إلى أحد غيرهن . كان لا بد أن تؤملي نفسك لتقبل هذا ..

- إن تصرفات ابنتي مفاجأة تامة لي .. ولكن المفاجأة الحقيقية هي تصرفات ريتشارد ، إنه يفار من ابنتي .

- سبب ذلك إنه رجل ضعيف الثقة في نفسه .. فهو كان واثقاً من نفسه لضحك من تصرفاتها . وطلب منها ان تذهب إلى الشيطان مسحت برنتيس جبينها المرهق وقالت :

- أنا أعيش في جحيم يا لورا . إن ابنتي وريتشارد يتشاجران لأنفسه الأسباب ، ثم ينظران إليّ ليبدأ إلى أي جانب المحاز .. سألتها لورا .

- وإلى أي جانب تنحازين ؟
- المحاز إلى اي جانب طالما كان ذلك في امكاني ، ولكن احيانا ..
توقفت برنتيس عن الكلام ..
فقلت لورا تسنحشها ؛
- نعم يا انت ؟
- إن ابنتي ، تعاليج موقفها مع ريتشارد .. بشكل اذكي من
معالجته له ..

- ماذا تعنين ؟
- ابنتي تتصرف دائما في أدب ، ولكنها تعلم مسا تفعل كي تثير
ريتشارد .. إنها تعذبه تعذيباً بطيئاً .. ربه ، لماذا لا يجب كلامها
الأخر ؟
- لأن هناك عداة طبيعياً بينهما ، بين الابنة وزوج الأم ، ام تظنين
ان الأمر غير ذلك ؟
- اخشى انك على صواب يا لورا ..
- ما هي الخلافات التي تنشأ بينهما عادة ؟

ردت برنتيس بعصبية :
- اتفه الخلافات ، مثلا ، انك تذكرين إنني غيرت وضع الأثاث
في غرفة الاستقبال ، ولكن سارة أعادت كل شيء إلى مكانه بعد
عودتها من سويسرا ..
وذات يوم اعلن ريتشارد فجأة ان له رأياً اخر في وضع الأثاث .
قال . (اعتقد انك كنت تفضلين ان يكون مكان المكتب في

الناحية الأخرى يا ان ، ليس كذلك ؟) .. قلت . (كان ذلك لأنى
اعتقدت انه يجعل الغرفة اكثر اتساعاً) .. وعند ذلك قالت سارة ،
(ولكفى أحب ان يظل المكتب في مكانه هذا) ..

فقال ريتشارد في لهجة غليظة : (ليس الأمر هو ما تحبين وما
تكرهين يا سارة . المهم هو ما تحبه امك ، وسأعيد المكتب إلى مكانه
في الحال) . ثم قام حقاً وأعاد المكتب إلى موضعه ، ثم قال لي وهو
يلهث : (ليس هذا ما تفضلينه يا ان ؟) ، فأجبتة بالإيجاب رخصاً
عني ، فتحول عني إلى سارة وقال بنبرة تشف : (هل عندك اعتراض
يا سارة ؟

فنظرت إليه سارة بهدوء وقالت في أدب : (طبعاً لا .. ولا
أهمية لرأى) .

وفي الحق يا لورا ، بالرغم من إنى كنت أساند ريتشارد ، إلا إننى
شعرت بالأسى من أجل سارة ، إنها تحب المنزل والآثاث ، وتكره ان
يلم التغيير بشيء في المنزل ، أما ريتشارد فإنه لا يفهم مشاعر ابنتى
اطلاقاً رباء ، إنى لا ادري ماذا افعل .. لورا .. هل تعتقدن ان
الأمور ستتحسن ؟

- لا يجب ان تعتقدي امالاً كاذبة ا
- ردت برنتيس في هتاب :
- ما أقساك يا لورا ا
- ذلك افضل من التعلق بأوهام ..
- الا يشفق ريتشارد وسارة علي ؟ إنى اصبحت فعلاً مريضة ا

- لا فائدة ايضاً في الاشفاق على نفسك ..

- والكفى تمسك جداً ..

- وهما ايضاً تميسان يا برنتيس . وجهي اشفاقك نحوهما .

تأوهت برنتيس واجابت :

- يا إلهي .. ما كنت اسعدنا ، ريتشارد وانا قبل هودة سارة ..

رفعت لورا حاجبها قليلاً ، ثم صمنت لحظة ..

وأخيراً قالت :

- ما الموعد الذي حددتهما للزواج ؟

- الثالث عشر من مارس ..

- بعد أسبوعين إذا ، لماذا اجلنا الموعد ؟

- لقد توصلت سارة اليّ بحجة أنها تريد أن تنعقد على هذا الوضع

الجديد ، فلم يسعني إلا أن أوافق على رجاها .

- هي ابنتك إذا . وريتشارد . هل أزعجك التأجيل ؟

اجابت برنتيس :

- طبعاً . فقد غضب جداً واتهمني بأنني أدلل ابنتي أكثر مما ينبغي ،

لورا .. هل أنا حقاً افسدت سارة بتدليلي لها ؟

- لا أعتقد ذلك ، فبالرغم من حبك الشديد لابنتك ، فسأنت لم

تفسدها .. وعلى العموم ، فإن سارة كانت دائماً شابة حسنة

التصرف .

قالت برنتيس بعد تفكير :

— هل تعتقدين إنني يجب أن ..

ثم توقفت عن الكلام ..

— يجب ماذا يا آن ؟

— أوه . لا شيء . ولكفي أشعر أحياناً بأنني سأنهار أمام ما أفاسيه
من تصرفات سارة وريتشارد ..

وفي هذه اللحظة سمعت الصديقتين صوت الباب الخارجي وهو يفتح
ثم صوت خطوات سارة السريعة قادمة نحوها

دخلت سارة الغرفة وتهللت أساريرها عند رؤية مس ويتستابل ،
فجرت نحوها وقبلتها . ثم قالت :

— أوه . لورا . لم اكن أعلم أنك هنا !

ردت ويتستابل باسمه :

— وكيف حال إبنتي في العماد ؟

قالت سارة في بساطة :

— أنا بخير ، شكراً !

نهضت برفتيس وخرجت من الغرفة ، وهي قفمفم جملة عن شيء
تريد أن تفعله ، ولابعتها ابنتها بنظراتها ؛ ثم نظرت إلى ويتستابل
واحمر وجهها

قالت ويتستابل :

— نعم .. لقد كانت امك تبكي منذ قليل .

— لست أنا الملومة على ذلك !

— حقاً ؟ اسمعي يا سارة .. هل تحبين امك ؟

- أبا اعبد ماما .. أنت تعلمين ذلك ا

- إذا . لماذا تعملين على تماسها ؟

ردت سارة :

- ولكنني لا أعمل على تماسها .. أنا لا أفعل شيئاً على الإطلاق .

- أنت تتشاجرين مع ريتشارد ؟ اليس كذلك ؟

قالت سارة بسخرية :

- أه . هذا . ولكن هذا شيء لا يمكن تجنبه . هذا الشخص

مقيدت .. لو ان ماما تحققت من مدى ثقل ظله ؛ اعتقد على العموم انها

سكنتشف ذلك عاجلاً ام آجلاً ا

- ايجب أن تخططى حياة الآخرين بدلاً منهم يا عزيزتي ؟ كانت

المعتاد أن الآباء هم الذين يخططون حياة أبنائهم وليس العكس

قامت سارة وجلست على مسند المقعد الذي تجلس عليه لورا ؛ ثم

قالت بلهجة من بدلي بسر :

- واكنني قلقة جداً على ماما ، انا واثقة انها ان تكون سعيدة

مع هذا الشخص .

قالت ويتستاهل :

- هذا ليس شأنك .

- واكنني قلقة رغماً عني ، أنا لا اريد ان ارى امي شقية قط ،

إن ماما ضعيفة الارادة وفي حاجة إلى من يرعاهما .

تناولت لورا يدي سارة بين يديها وضغطت عليها بشدة ، ثم تحدثت

بصوت هادئ، خطير :

- احمي يا عزيزتي ، نصيحتي اليك أن تأخذي حذرک .. خذي حذرک .

- ماذا تعنين ؟

ردت لورا وهي تضغط كلماتها بقوة :

- خذي حذرک من أنت تسبني في ان تقدم أمك على شيء تقدم عليه طوال حياتها ، إني أحذرک .. إني أشم شيئاً في الهواء .. أشم رائحة ، ضحيفة بشرية تقدم قرباناً .. وانا لا احب القرابين البشرية .

وقبل أن تجيب سارة بشيء دخلت ادبيث الغرفة ..

ثم قالت :

- لقد حضر مستر ليولد ا

قفزت سارة في مرور وهتفت :

- جيبي .. تعسال .. هذه هي لورا ويتستابل امي في العهاد ..

هذا هو جيبي ليولد ا

تصافح الاثنان ..

ثم قال جيبي لاورا :

- لقد سمعتك بالأمس في الراديو يا سيدتي ، سكنت تقدمين

حلقة من برنامجك الممتع « كيف تعيش اليوم » وتساءلت به كثيراً .

يبدو انك تعرفين اجوبة عن كل الأسئلة التي تطوف بذهن الانسان ا

وردت ضاحكة :

- من السهل دائماً ان يصف الانسان طريقة صنع الكعكة ، ولكن
ليس من السهل ان يصنعها ، انا اعرف ان برنابجي هل ، وإن الناس
يضجرون منه يوماً بعد يوم .

هتفت سارة :

- لا تقولي هذا يا لورا ..

ردت ويتسائل :

- ولكنني أعني ما اقول يا طفلتي ، فقد وصات إلى المرحلة التي
تحوات فيها إلى واعظة ، وهذه خطيئة لا تفتقر ، والآن سأورككنا معاً
وأذهب للبحث عن امك ا

*

ما ان خرجت ويتستابل من الغرفة حتى صاح جيري :
- سوف اغادر المجلدات يا سارة .

نظرت اليه سارة في دهشة وقالت :

- أوه جيري .. متى ؟

قال بفرح :

- الخميس القادم .

- إلى أين ؟

- إلى جنوب إفريقيا !

صاحت سارة :

- ولكنهما بعيدة جدا ، وان تعود منها قبل سنوات ..

وسنوات ..

قال في خيلاء :

- ربما !

- وماذا تنوي ان تفعل في جنوب إفريقيا .

- سأزرع البرتقال ، ممي زميلان اخران ، والاراق سوف تغطي

وقتاً بمتعة ..

- اوه .. جيري ، هل لا بد من ذهابك ؟
 - لقد ضقت ذرعاً بهذا البلد الذي لا يقدر المواهب ، البلد يكرهني
 وانا ابادله كرهاً بكره .
 - وماذا عن عمك ..
 - اوه .. نحن متخاصمان منذ فترة ، أما زوجته لينسا فقد كانت
 لطيفة ممي للغاية ، أعطتني مبلغاً من المال ، ودواء الدغات الأفاعي .
 - ولكن هل عندك أي خبرة بزراعة البرتقال .
 - لا أعرف حتى شكل شجرة البرتقال ، ولكن نظراً لذكائي وموهبي
 فسأتعلم بسرعة .
 تنهدت سارة وقالت :
 .. سأفتقدك كثيراً يا جيري .
 تجنب جيري النظر اليها ثم قال :
 - أعتقد إنك ستنسبني بعد فترة ، الهميد عن المين هميد عن القلب .
 - ليس دائماً يا جيري .
 نظر اليها بسرعة وقال :
 - أحقاً يا سارة ؟
 نظرت اليه سارة بتأثر ولم تجب ..
 قال في اضطراب :
 .. لقد استمتعتنا مما كثيراً ، اليس كذلك ؟
 - نعم ..
 على فكرة الناس يربحون كثيراً من زراعة البرتقال .

- أعتقد ذلك ا

قال جيري وهو يختار كلمته بمنائة :

- أعتقد أن الحياة هناك أيضاً تناسب النساء .. المناخ ممتاز ،

والخدم كثيرون

- نعم ..

ولكن لا بد أنك ستزوجين قريباً ..

هزت رأسها وقالت :

- لا لا .. الزواج المبكر خطأ فادح ، لا اعتقد اني سأزوج قبل

سنوات وسنوات .

قال جيري في تشاؤم :

- هذا ما نظنينه ، ولكن سيظهر لك ثعلب من هنا أو هناك

ويجملك تغيرين رأيك .

قالت سارة في تأكيد :

- إني ذات طبيعة باردة .

وقف الاثنان في ارتباك وهما يتعاشيان النظر أحدهما إلى الآخر .

واخيراً قال في نهبات مضعمة :

- عزيزتي سارة .. أفا مجنون بك ، هل تعرفين ذلك ؟

- حقاً ..

ودون أن يشعر كلاهما اقتربا حتى تلاصقا وتبادلا قبلة حارة . وكان

جيري يتمجج في نفسه مما يجده من حرج أمام سارة ، وهو الذي خالط

الكثيرات من النساء

ولكن سارة لم تكن مثل كل النساء ..
كانت عزيزته سارة ..

قالت سارة :

- جيري .

- سارة ..

ثم تبادلنا قبلة ثانية ا

قال جيري في رجاء :

- ان تكتبي يا سارة ، اليس كذلك ؟

أجابت باخلاق :

- لن أنساك ا

- هل تكتبين الي ؟

- الحقيقة إلي كسولة فيما يتعلق بكتابة الخطابات .

- ولكنني أرجوك أن تكتبي ، سوف أشعر بوحدة قائلة ..

ابتعدت عنه قليلا ..

ثم ضحكت مرلجفة قائلة :

- لن أشعر بوحده قائلة ، سوف نجد عشرات الفتيات هناك .

- على فرض وجود هذه الفتيات فسوف يكن ثقيلات الطل ،

صدقيني يا عزيزتي ، لن يكون حولي إلا أشجار البرتقال .

- حينذا لو أرسلت لي صندوقاً من البرتقال من وقت لآخر .

قال في حراره :

- طيباً ، سوف أقبل ذلك ، اوه .. سارة إني أقبل المستحيل
من أجلك .

- حسنا .. هذا فصل الخطاب ، اشتغل في جد حتى تصبح زارع
بريقال فاجح ا

- أقسم لك إني سأبذل كل جهدي .

قنهت ثم قالت :

- كنت أرجو لو أنك لم تكن ترحل بهذه السرعة ، كان يسهلني أن
اجدك يجاني فتبادل الأفكار والآراء .

- كيف حال كولدفيد ، هل أصبحت تراحين اليه

- لا .. نحن لا نكف عن الشجار .

ثم اضافت في نبرة انتصار :

- ولكنني أشعر اني سأنتصر ا

فنظر اليها جيري في الزعاج ، ثم قال :

- هل تعنين ان امك .

أحنت رأسها بارتياح .

ولكن جيري تضاعف الزعاجه ، قال :

- سارة ، اتقى لو أنك كفتت عن هذا الموقف .

- تقصد ألا أحارب كولدفيد ، سوف أحاربه بأظافري وأسناني ،

لن اسلم أبداً ، يجب انقاذ ماما .

- اتقى لو تزعت يدك من كل هذا ، إن امك تعرف ماذا تريد .

قالت في إصرار :

... قالت لك من قبل إن ماما ضعيفة ، إنها تتأثر لتعجب الناس
وتبني تصرفاتها مهم على أساس هذا التأثر ، إنني أحاول انقاذها من
زواج فاشل .

قالك جيري شجاعته وقال :

– أعتقد إنك غيوره يا سارة ا

نظرت اليه في حنق وصاحت .

– حسناً ، إذا كان هذا هو رأيك فيجدر بك ان تنصرف الآن ا

– لا تفضي مني ، لا بد انك تعرفين ما انت مقدمة عليه .

قالت سارة في ثقة :

– أعلم ذلك بالتأكيد .

* * *

كانت برنتيس تجلس امام دولاب الملابس عندما دخلت لورا ويستابل .

- هل تشعرون بتحسن الآن يا آن .

ابتسمت وقالت :

- نعم ، فقد كان غياب شديد مني ان اترك نفسي لمواطني هكذا .

- لقد جاء شاب الآن لزيارة ساره ، اسمه جيري ليولد .

سألته برنتيس :

- ما رأيك فيه يا ويستابل .

- إن إبنتي تحبه طبعاً .

قالت برنتيس في لوسل :

- أوه ، ارجو الا يكون ذلك صحيحاً .

هزت لورا رأسها وقالت :

- لا فائدة من الرجاء .

ضحكت آن في مرارة وقالت :

- يبدو إني فاشلة في كل شيء .

- إنه شاب فاشل ، ليس كذلك .

قنهت برنتيس وقالت .

- نعم ، إنه لم ينجح في اي شيء ولا يريد ان يفعل شيئاً جاداً ،
وأعتقد انه لن ينجح في حياته على الاطلاق ، إن ابنتي تحدثني
كثيراً عن لحظة وسوء حظه ، ولكني أعتقد أن الأمر أخطر من مجرد
النحس وسوء الحظ . ومن الغريب إن ابنتي تعرف شبانا افضل
منه بكثير .

اجابت لورا :

. ولكنها تجدم ثقلاء الظل ، هذه هي المادة ، الفتاة الجميلة الناجحة
تفهم بالشاب الفاضل السيء الطالع ، اعترف ايضاً إنني وجدت ذلك الشاب
جذاباً للغاية ا

قالت برنتيس .

- حق أنت يا لورا ؟

اجابت لورا بهدوء :

- انا ايضاً انشى أحمل في نفسي ضعف الأنثى أمام الذكر الجميل ،
والآن طبت مساء يا عزيزتي ..

وصل ريتشارد إلى شقة مسز برنتيس في الثامنة مساء .
كان على موعد للمشاء مع أن ، أما سارة فلإنها كانت مدعوة
للمشاء والرقص خارج المنزل .

وعندما دخل ريتشارد الشقة وجد سارة جالسة في غرفة الاستقبال
تصبيغ أظافرهما بالمانيكور ، وكان الجو مليئاً برائحة النوشادر المنبعثة
من المانيكور .

رفعت سارة وجهها إليه ، ثم قالت في أدب :

- هالو ريتشارد ..

ثم أخذت تتابع طلاء أظافرهما .

أخذ ريتشارد ينظر إليها في قلق ، فقد كان يشعر بأنه يكرهها
بدون حدود .

كان ينوي في البداية أن يكون عطفاً معها ، وتصور نفسه في
دور الأب الثاني على هذه الشابة اليتيمة ، ولكن الأمور سارت على
عكس ما كان يريد ، وملأت قلبها بالبنفص لها .

كما كان يشعر أيضاً بأنها تلك في يدها قيادة الموقف .

كان يردد ما يردد ، أعصابها يحطم أعصابه ويملؤه بالذل والحرمان ،

لم يكن في حياته رجلاً مغروراً ، كان دائماً متواضع واثق من نفسه
ولكن سارة هبطت بهذه الثقة إلى الحضيض ، كل محاولاته للتقرب
منها باءت بالفشل

كان يشعر أنه يقول الشيء الخطأ ، ويفعل التصرف الخطأ طوال
الوقت ، ثم بدأ كرهه لسارة يخلق عنده احساساً بالغضب من أمها .
لماذا لا تقف برنتيس إلى جانبها ؟ لماذا لا تفرض على ابنتها ان
تعامله بالحسنى ؟ لماذا تأخذ هذا الموقف السليبي ؟ إنه موقف يزيد الطين
بلة ، ويجب على برنتيس أن تدرك ذلك .

مدت سارة يدها واخذت تحركها لكي يحف الطلاء .

وبالرغم من يقين ريتشارد إنه من الأفضل الا يقول شيئاً ، إلا أنه
لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يقول :
- اصابعك الآن تبدو وكأنها غارقة في الدم ، انا لا افهم لماذا تصبح
الفتيات اظافرهن بهذا اللون الأحمر ..

أجابته في هدوء :

- حقاً ؟

شعر ريتشارد بأن هذا السؤال البسيط هو بداية أزمة جديدة ،
وبحث في ذهنه عن أرض امنة ، قال :

- لقد قابلت صديقك الشاب جيوي ليولد هذا المساء ، وقد اخبرني إنه

سيذهب إلى جنوب افريقيا .

- نعم .. سيسافر يوم الخميس القادم .

رد ريتشارد متفلسفاً :

- سيكون عليه ان يعمل يجهد شديد اذا كان يريد أن ينجح في جنوب افريقيا ، إنها ليست بالمكان الذي يصلح لشاب لا يحب العمل .

سألته سارة :

... هل تعلم كل شيء عن جنوب افريقيا ؟

كل هذه البلاد النائية متآالة ، لا ينجح فيها إلا الرجل ذو العزم .
- جيري شاب ذو عزم .

ثم أضافت :

- إذا كان لا بد من استعمال هذا التعبير ..

وما عيب هذا التعبير ا

رفعت سارة وجهها اليه ، ونظرت اليه نظره باردة ، ثم اجابت

في جفاء :

- إنه تعبير مقزز ، هذا كل ما هنالك ..

واحتقن وجه ريتشارد احمراراً .

وصاح بعمد ان فقد السيطرة على اعصابه :

- من الأوسف ان امك لم تحسن تربيتك ا

ولكنها لم تفضب ..

نظرت اليه في هدوء ، ثم ابتسمت وقتمت :

- هل أسأت الأدب .. أنا اسفة حقاً ..

ولكن اسفها ومبالغتها في الأسف لم يديء فأثرت ، صاح :

- أين امك ؟

- إنها ترتدي ثيابها ، ستكون هنا بعد دقائق .

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها مرآة صغيرة اخذت ترى وجهها فيها ، ثم رفعتها بيدها اليسرى واخذت تميد طلاء شفتيها وتحدد باللون الأسود جفونها ..

كان قد سبق لها اقام زينتها قبل حضور ريتشارد ، ولكنها كانت تميد العين الآن .. لأنها تعلم ان ذلك يضايق ريتشارد ..

كانت تعلم أنه يكره ان يرى امرأة تتزين امام الآخرين .

- البعية في الجزء الثاني -



National Organization of the Alexandria Library Association
Alexandria, Egypt

12

5

To: www.al-mostafa.com